

كتب الأدب والنقد

مدخل أمين الخولي

إلى

الدكتور سامي منير عامر

ملاححه - آثاره

دكتور
سامي منير عامر
مكة المكرمة - جامعة الاسكندرية

الناشر / مستشار
جلال حنزي وشركاه
الاسكندرية

الإهداء

إلى والدي (الشيخ منير عامر) الذي كثيراً ما زجرني
ناصحا بالقراءة .

إلى أساتذتي الذين قد علموني كيف أقرأ
إلى تلاميذي الذين قد حفزوني إلى مداومة القراءة
إلى الصديق الشاعر الناقد صلاح عبد الصبور
إلى كل محب للقراءة المبدعة

إنني ما زلت تلميذا يتعلم كيف يقرأ

سامي منير عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل رئيس

تلمست الطريق إلي شيخ الأماناء - صاحب مدرسة فن القول - الأستاذ أمين الخولي ، بفضل هداية علماء أساتذة أفاضل ؛

- أستاذي المرحوم الأستاذ الدكتور السيد خليل حينما كان يدرس لنا علوم القرآن وعلوم الحديث مقرنا إيانا " كشاف " الزمخشري بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الاسكندرية أعوام (١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤)

- أستاذ " التذوق البلاغي " الأستاذ الدكتور مصطفى ناصف الذي صدمت بكتابه (الصورة الأدبية) سنة ١٩٥٥ حين كنت غض التخرج في قسم اللغة العربية . فتوقفت عن قراءته حتى أمكنتني الاستحصاد - شيئاً ما - في مجال قراءة وتذوق النص الشعري وحاولت إعادة قراءة ماكتب هذا العجوز الأستاذ المبدع ناصف ، وتيسم لي القدر ففهمت شيئاً مما يريد قوله بعد لقياء بجامعة صنعاء عام ١٩٨٣ وحتى عام ١٩٨٦ وحكي لي ما حكي عن " سماحة انفساح صدر أمين الخولي " لكل متعمد متصل الأصل بقديمه اللغوي

- أستاذ " النقد الأسلوبى " الأستاذ الدكتور شكري محمد عباد الذي أوصلني إلي معرفته ابن أخته زميلي في التخرج الدكتور جمال الدين شلبي (عام ١٩٥٣) بدءاً بكتابه " البطل في الأدب والأساطير " ثم كتابه " كتاب أرسطوطاليس في فن الشعر وأثره في البلاغة العربية " وانتهاء بكتابه " دائرة الابداع / مقدمة في أصول النقد " سنة ١٩٨٧ هذا عن أساتذتي العلماء الذين قد علموني ومازلت أتعلم - علي قدر جهدي - مما يكتبون حول " فن

القول " . وهم جميعا خرجوا من عبادة جامعة أمين الخولي البلاغية
(الأسلوبية) الخاصة .

ثم . . . (وهذا أمر لابد من الاعتراف به إقرارا بحق الوفاء بحميل من
وَسَدُّوا التراب) أقول ثم الشاعر الناقد الفنان صلاح عبد الصبور سنة ١٩٨٠
الذي أبلغني بأنه ما مضى في كتابة الشعر المعاصر إلا بعد أن أقر له - عن
طريق الاطلاع علي " نوتة " محاولاته الشعرية - الأستاذ الشيخ أمين
الخولي . بأنه سيكون فتحا في عالم الشعر المعاصر زمن أن كان يدرس علي
يديه بأداب جامعة القاهرة في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات .

وهانذا أزعم بأنني قد عايشت فكر الشيخ الخولي (مثذوقا جماليا
بلاغيا) بما قد يسمح لي أن أنجز بالاقتراب من جنة إبداعاته المضيئة حول
فن القول ، التي لا بدانيها إنسان ، إلا أن يجدها مُتَمَنِّعة ترغب في مُصرِّ
جسور يعرق ويتمزق قراءات حتى يهبه الله القدرة علي محاولة فتح باب تلك
الجنة التي تعلمك - إن سمحت لك بفرجة تلج إليها - أن تتعرف إلي كيف
" يتخلق النص في رحم الكلمة " كما يقول أستاذنا شكري عباد بكتابه الأخير
" اللفظ والابداع " سنة ١٩٨٩ .

ولعلني قد خضت محاولات متواضعة ، متعرفا خفايا النص الإبداعي
اللغوي الشعري (من خلال كتيبي " ملامح وحدة القصيدة في الشعر العربي
بين القديم والحديث " وكذلك في " وظيفة الناقد الأدبي بين القديم والحديث ")
ثم " من أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح " (قيل أن أتقدم - متهيبا
- بين يدي المعلم الجسور المتجدد أمين الخولي ، صاحب مدرسة التذوق
الجمالي البلاغي - مرتجيا جعل مقصدي أن تكون البلاغة ، علم الماضي وعلم
الحاضر وعلم المستقبل في مجال الإبداع اللغوي وليتحقق ما كان يجاهد الخولي

مباشرا به تحت مقولته " إن أول التجديد قتل القديم فهما " .

فهل إلي ذلك من سبيل ؟ !

ولا يسعني في نهاية هذا " المدخل " إلا أن أعترف بفضل أستاذي
الأستاذ الدكتور محمد زكي العشماوي علي صادق توجيهه لي بتعريفني "
كيف أحتضن الكلمة الشعرية في محبة نقدية " منذ عام ١٩٥١ طالبا للعلم
علي يديه بكلية الآداب حتي تفضل بمنحي الدكتوراه عام ١٩٧٦ .
وكذلك الفضل يذكر للأستاذ " جلال حزي " صاحب منشأة المعارف الذي
يغامر بنشر كل جديد يري فيه أملا مباشرا .

الباحث

سامي منور عامر

الثلاثاء ١٥/٨/١٩٨٩

مدخل أمين الخولي
الى
الدراسة الجمالية البلاغية
(ملامحه - آثاره)

الملاحع :

يقول أمين الخولي في كتاب " مناهج محمدية " تحت عنوان (في البلاغة) : . . . كانت محاولتي الأولى في سبيل البلاغة هي تحقيق فنية البلاغة والانتهاج بها الي أن تكون " فن القول " الذي يقوم الي جانب الفنون الأخرى من سمعية وبصرية .

فلما تمت الفنية البلاغية ، واستقر أمرها ، كان الانتقال الي مايلبيها من محاولة في سبيل تأصيل هذه الفنية ، ووصلها بما يجدي عليها من المعارف الانسانية ، في الحياة الحاضرة الناهضة الراقية . . .
ويبدأ النظر في ذلك ، من الفهم الصحيح لحقيقة الفن ليعرف مايتصل به من الثقافة الانسانية .

والفن - كما نعرف - هو : الترجمة والتعبير عن الاحساس بالجمال . .
والجمال والجميل ، والمعرفة الصحيحة لهما ، أول مايفيد هذا الفن . . . ثم ضبط الاحساس بالجمال ، والتعنه الدقيق لهذا الاحساس ، والخبرة بالتفهم البشرية التي يصدر عنها ذلك الاحساس ، هو خير مايقوم عليه دراسة فنية في حقيقتها وجوهرها . ومن هذا تبينت حاجة تلك البلاغة ، الي لون من الدراسة الفنية المعتمدة علي دراسات للجمال (١)

هكذا عرض أمين الخولي (الأمناء) لأصول ضبط " فنية البلاغة "

والتي هي في عرفه : -

- أ - ضبط الاحساس بالجمال .
- ب - التنبيه الدقيق لهذا الاحساس .
- ج - الخبرة بالنفس البشرية الصادر عنها ذلك الاحساس .

ولعلنا لو حاولنا - وفقا لمنظورات النقد المعاصر - اعادة ترتيب هذه العناصر السالفة ، لقلنا بأن (الخبرة بالنفس البشرية الصادر عنها ذلك الاحساس بالجمال " ج ") هو العنصر الفيصل الذي يستطاع به بدء طريقنا في استكناه " فنية البلاغة " التي أرادها الاستاذ أمين الخولي وهو مانعرفه في عالم النقد المعاصر - تقريبا - باسم " التجربة الشعورية " ذلك الموقف الذي يجب أن يحاول الناقد - أو دارس جماليات البلاغة في عرف الشيخ أمين - وضع نفسه قدر جهده في اهابه ، فاذا تم له هذا الجانب - وهو في أساسه درية تذوق لغوي - حاول أن يظل متنبها للامسك بعناصر هذا الموقف " ب " (أي أن يجيد المعاشسة للأثر الفني المطلوب استشفاف فنية بلاغته) .

ثم ينتهي المطاف بالدارس الجمالي للبلاغة أن يضع أصابعه - له ولنا - علي ضوابط احساسه بجمال الأثر الفني " أ " . (أي تبرير ما قد تذوقه من خلال الدراسة الجمالية البلاغية للغة) .

وعلي ذلك ، فان تلك الأصول لادراك امكان تحقيق " فنية البلاغة " التي ارتأها أستاذنا الخولي نري وفقا لتطور التجربة النقدية اعادة ترتيبها باديء ذي بدء علي الصورة الآتية :

- أ - الخبرة بالنفس البشرية الصادر عنها ذلك الاحساس .
- ب - التنبيه الدقيق لهذا الاحساس .
- ج - ضبط الاحساس بالجمال .

واضعين في اعتبارنا ماسبق أن حاولناه من تقريب مقاصده التي وضعها من " فنية التجربة الأدبية " كما تعرف عليها في نقدنا المعاصر ، والتي يزيدنا ايضاحا تبيان السبب الرئيس وراء دعوة الشيخ أمين بفنية البلاغة ، اذ أن تلك النظرة الفنية للبلاغة ، ماهى الا محصلة لوجهة نظر " الخولى " في التفسير الواجب حيال آيات القرآن الكريم ، ذلك التفسير الذى يعتمد " النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولى في الأسلوب القرآنى ، وتسعين معارف هذا الجمال ، وتستجلى قساماته ، في ذوقى بارع ، وقد استشف خصائص التراكمب العربية ، منضما الي ذلك التعاملات العميقة في التراكمب والأساليب القرآنية لمعرفة مزايها الخاصة بين آثار العربية " (٢) .

. . . " فتفسير القرآن أو الدراسات القرآنية عموما ، كانت فى الحضارة الاسلامية هى البيئة الطبيعية التى نضجت فى أحضانها كل فروع الدراسات اللغوية والبلاغية " (٣) .

فهذا النهج الذى نافع من أجله الشيخ أمين الخولى ، يجعل من دراسة القرآن دراسة أدبية منهجية فى ضوء الظروف الحيوية المحيطة به " فنظم القرآن المعجز لم يكن غرضا مقصودا لذاته ، بل كان وسيلة لاصلاح الحياة البشرية ، فهو " فن الحياة " (٤) .

وكذلك الأمر فى البلاغة ، فان عناية أمين الخولى بالدرس البلاغى كان الهدف منها جعل البلاغة أكثر حيوية عن طريق (التحلية والتخلية) أى تخليتها بابعادها عن النصوص الاصطلاحية الوصفية الجامدة التى درجت عليها فى كتابات السابقين ، وتحليتها فى ذات الوقت بوصفها بدراسات علم الجمال والدراسات النفسية .

فماذا يا ترى كان يراه أمين الخولى لازما من الدراسات النفسية لاصلاح مداخل تناول البلاغة تناولا تجديديا ؟

يقول . . . " ان درس البلاغة يحتاج الى أن تقدم بين يديه مقدمة نفسية

هي أمس به ، وألزم له مما اقتبس في كتبه القديمة ، من أبحاث أصولية (٥)

ثم هو يحدد عناصر تلك المقدمة النفسية بقوله : . . . " درس الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الأخرى في العمل الفني ، ودرس الخيال ، والذاكرة والاحساس ، والذوق " (٦) . . . " ذلك أن الفنون في إنتاجها وتذوقها لا تقوم الا على الخبرة الصادقة بالنفس والوقوف الدقيق علي أسرارها ، وليست العبقرية الفنية في أى صورة من صورها الا نفاذ البصيرة الى أسرار الوجدان الانشائي ، ومداخله العواطف الأدمية ، ومسيرة الأمل ، والتحليق مع الخيال " (٧) .

ان الشيخ أمين الخولى يرى في النص السابق ضرورة أن يتقصد دارس البلاغة مشاعر صاحب العمل الفني كى يتمكن خلال تذوقه من الجولان فى آفاق التجربة الأدبية التى مر بها المنشئ فى ابداعه متعرفا أسرارها معيشا منفعلا بأحاسيسها ، مسرحا مع خيالها وفي ذلك يكمن التجديد الحى الواجب توافره لتناول دراسة البلاغة ، اذ " يزداد فهم الوسيط فى وساطته - ونعنى به دارس البلاغة أو من يقوم على تدريسها - بمقدار ما يعمق من فهمه لأسرار النفس الانسانية ، ومن قدرته على تتبع الحركة الداخلية للطبائع المهذجة " (٨) .

ورغم ما فى هذا الملحق (ضرورة الاستبصار بدراسات النفس فى سبيل تجديد الدراسة الجمالية البلاغية للغة) من معاصرة ، فان الأمر بالنسبة الى الأمتاء أمين الخولى ، لم يكن غريبا فيه عن قديم تراثه العربى ، لأنه قد أشار الى أن الزمخشرى فى كتابه (الكشاف) قد نهج نفس ذلك المنهج النفسى حين تفسيره لأية (١٩٣ - ١٩٥) من سورة الشعراء (٩) .

ولم ينس أمين الخولى - بتقديمه المفروستين فى أعماق تربة القديم ، وأبعاد تربة الحديث - أن يقدم التطبيق العملى لمنهجه النفسى فى تناول

البلاغي بدراسة أبي العلاء المعري دراسة طويلة مستأنية فسر فيها حياته وشعره علي ضوء علم النفس التكاملى ، وأهداها الى الذين يرفعون القواعد من المدرسة النفسية في دراسة الأدب وتاريخه ، وكان ميزانه لبعض شعر شيخ المعرة ، متعلقا بشيء من التفسير الجنسى (١٠) .

ولعلنا- حين رصدنا لعناصر فكرة الاستضاءة بالدراسات النفسية فى تحليلنا البلاغى للنص - نساءل أنفسنا : ما خطوات أمين الحولى التفصيلية لامكان تحقيق ذلك ؟

ونجده يكفيننا مثونة المسألة مجيبا :-

... "فالكلمة الفردة فى تقدير وقعها الصورى ، وفى تقدير أبحاثها المعنوى لايسلم فيها شيء من هذا التقدير ، ولايدق ، الا اذا أعدناه الى الوقع النفسى لها ... ثم الاستعمال وأثره فى المفردات والجمل ... هذا الاستعمال وأثره ، لايصح شيء من تقديره ، ويبينه الا على هدى نفسى دقيق وكذلك الحال فى الصور البيانية ، وعمل المتفطن فيها ، وأثر هذا العمل على الابانة والانهام ... كل أولئك وما اليه لايرجع فى تفهمه ولا فى تبينه الا على الأثر النفسى والوقع النفسى" (١١) .

ونجد فى تلك الاجابة ، دقة التناول البلاغى اللفوى (تلوقيا) :-

أولا - حبال دريه السمع الناقد على تقدير وقع صوت الكلمة من السياق وأثره الابحائى ، وهو ما أشارت اليه الدراسات النقدية المعاصرة من مثل دراسة " روستر يفور هاميلتون " لصوت الكلمة " فالصوت فى معظم الحالات هو مفتاح التأثيرات الأخرى فى الشعر " (١٢) .

ثانها - ونجاء اهتمام الناقد الى رصد فعل المتفنن فى الصور البلاغية وخاصة الاستعارة التى أشارت اليها الدراسات النقدية المعاصرة عند ريتشاردز خاصة فى كتابه (مبادئ النقد الأدبى) اذ يقول ... " وماهى الا وسيلة للتعبير عن موقف المتكلم عن الموضوع الذى يتحدث عنه " (١٣) .

ثالثا - وحول ضرورة متابعة دارس البلاغة للاستعمال اللغوى الاستعارى وأثره فى المفردات والجمل وقد أولت الدراسات النقدية الأسلوبية المعاصرة هذا الموضوع جانبا غير منكور فى أبحاثها . . . يقول العالم اللغوى الاميركى " ادوارد سابير " ان لكل لغة عبقرية خاصة لا يستطيع أى كاتب أن يعبر عنها كاملة . وأبرز ما تظهر فيه هذه العبقرية تركيب الجملة (١٤) .

وما كل ما ألمحنا اليه من عناصر دقة التناؤل البلاغى اللغوى (تذوقيا) ، الا دليل على وعى أمين الخولى بأن تناول النص الشعرى جماليا ، لا بد له من استكشاف ما فى النص من مميزات صوتية وبيانية ونفسية تتفاعل فيه داخليا - بما يحدده الشاعر بينها من علاقات - تضيف الى كلماته تلك القوة التى تهتت فيها ذلك التجاوب لما فيها من أثر جمالى خاص (١٥) . " فأولى المجالات التى يعالجها النقاد (حديثا) هو هيئة الكلمات فى النصوص ، فان معناها ليس هو المعروف به فى المعجم ، وانما هو " جميع ما يحتشد من روابط ونغمات مستمدة من جميع أنواع المفهومات والتصورات وصور الفكر والتقاليد البلاغية مع الاهتمام بالعلاقات المتداخلة بين المعانى والتطرق الى أدق صنوف تلك العلاقات ، مع عناية بأصغر العناصر فى المبنى والايماآت الجانبية والظلال التى لا يلمحها الا ذو قمرس . (١٦) .

وهكذا نرى منهج أمين الخولى فى " الاقتراب تذوقيا من جماليات اللفظة بلاغيا " يحاول فيه رؤية القديم (بلاغيا) من خلال منظور متطور - على الأقل فى نظرى - بالنسبة اليه والى عصره . بفتح عيون النقاد على قمش الموقف النفسى لمفرز " الفن الشعرى " حين يؤلف نصه ، فتبدو كلماته على هيئة خاصة مستخدمة استخداما جديدا خلال علاقات متداخلة تصنع لها شكلا جماليا لغويا يضيف الى الطاقة الشعرية المتذوقة .

ما سبق يتضح أن للشيوخ أمين الخولى رأيا فى مدارس البلاغة ملامحه

كالتالى:

أولا - عقد ألفة بينك وبين النص - المطلوب تحليله بلاغيا - تسمع لك بفترة معايشة يرحي من ورائها الولوج الى العالم الوجدانى - أو قريبا منه - ذلك الذى عاشه صاحب (النص المنقود) الذى هو في حقيقته أحد " فنون القول " .

ثانيا - أن تظل طوال معايشتك الوجدانية يقظا الى ما يطبع ذلك النص بطابع احساسى معين بين ثناياه .

ثالثا - ان تمتلك الامساك بالعناصر الازمة لك - محللا بلاغيا - والمجملته فى :

- أ - تقدير وقع الكلمة صوتيا وايحائها المعنوى .
- ب - تبيان كيف سلكها الشاعر فى سياقات ابداعه القولى .
- ج - مراعاة مدى تفنن الشاعر فى جعل صورته البيانية تعمل عملها الجمالى وذلك حتى تضمن سيطرتك - العذوقية - اللغوية - الهلالية - على ذلك الاحساس المعين .

رابعاً : ضرورة اهتمام الناقد (وهو فى أساسه متذوق لغوى بلاغى) بتنمية اجادته لتمثل عنصر الوجدان^(١٧) فى العمل المحلل بلاغيا ، باطلاعه على ماتضيفه الدراسات النفسية الى عالم النص من رحابة فى التفسير الفنى إذ تزوده بقدرات أكبر للتحليل مع الخيال المبدع لصاحب العمل الفنى . وبذلك يمكن ارساء الأساس الجمالى للتناول اللغوى البلاغى من خلال " فن القول " كما يراه الخولى بما يعين الدارس الخبير ذا المعرفة على " القول الناقد والحكم الصادق ، فى تناول دقيق ، وادراك عميق ، وحكم سليم وشعور قوى " . (١٨)

الأثار :

إذا كانت دعوة أمين الخولى لتجديد البلاغة قد صرحت عن نفسها عام ١٩٣٩ واستمرت حتى أواخر الأربعينيات ١٩٤٧ بكتاب " فن القول " - الذى اعتبره الخولى تصحيحا لمنهج درسنا للبلاغة (١٩) فانها قد تركت آثارها جليلة بشكل واضح يدعو الى الانفتاح - المنضبط - على ميادين علم النفس والدراسات الجمالية ، ذات الأثر الفعال فى التدوق اللغوى النقدى . وظهر هذا الأثر واضحا خلال مؤلفات كثيرين ممن عاصروه ، وكذلك ممن تلقوا التبراس اللغوى " الكلامى " الهلافى هلى يديه بالجامعة . (وأبرز مثال على امتداد دعوته تلك فيمن عاصروه : -

أ - كتاب من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده (٢٠) للمرحوم أستاذنا محمد خلف الله أحمد ط ١ سنة ١٩٤٧ ، ط ٢ سنة ١٩٧٠ .

ويعد فيه بابا تحت عنوان " مكان الاتجاه النفسى فى دراسة الأدب ونقده " متناولا فيه أهم المؤلفات العربية المصرية الحديثة لكل من أسهموا فى استخدام الأسس النفسية لاستكشاف شتى ملامح الجمال للنصوص الشعرية مسهبا القول خاصة فى هذا المجال عن طه حسين ومنهجه فى التناول النقدى إذ " كانت رسالة طه حسين عن أبى العلاء (٢١) دعوة لدارس الأدب ومؤرخة وناقده ، أن يتزودوا بالوان الثقافات والعلوم : مثل علم النفس ، والفلك ، والتاريخ ، والجغرافيا وبعض اللغات القديمة والحديثة . . . ثم استوى ذلك المنهج لطله حسين منهجا ادبيا متكاملا امتزج فيه الذوق والفقه اللغوى والأدبى وثمار المتابعة الدائبة للتيارات الفكرية الجديدة فى دنيا الآداب

والفنون ، وزفدته روافد الدراسات الانسانية الحديثة في علوم النفس والاجتماع والجمال (٢٢) .

فكان " طه حسين " يوازر منهج أمين الخولى في تسليح المتذوق للنصوص الشعرية بمعارف شتى ، يركز فيها على " علم النفس " ومتابعة شتى الآداب والفنون ، وكذلك الاستعانة بعلم الجمال فى سبيل بلوغ الغاية التى هدف من أجلها الخولى حينما نادى بدعوته التجديدية للدخول الى تذوق لغة البلاغة وجدانيا ، مع وجود تهرير جمالى نفسى لهذا التذوق (٢٣) .

الا أن الخولى - المنتمى الى مدرسة المتكلمين والاعتزال فى معظم ما جاء بكتاباتة - كان له فضل التنظير والتعليمية بحكم تخرجه فى مدرسة القضاء الشرعى من ناحية ، ومن ناحية أخرى بحكم وضعه نفسه موضع الفقيه المربى صاحب المدرسنة قد يختص - بل كثيرا ما يختص - تلاميذه (ومعظمهم من المدرسين للغة العربية) بما تصبو اليه نفسه من إيمان بالقديم ايمانا يجعلها تستقطر هذا القديم ما يمكن أن يتفق وتفاعل الثقافات التى أسهمت فى تشكيل فكره وتطوره (وقد كان الشيخ الخولى يجيد لغات أجنبية عديدة) ، بينما لم يستطع هو أن ينساق - باستفاضة - وراء تحقيق ذلك التفاعل التطويرى تطبيقيا خوفا من أن يفقد ما وضعه لنفسه من هبة عمادها " الاتصال الشديد الوثاق بقديم لغتنا وأدبنا وفنوننا " دون انحراف الى " معرفة دراسات المستشرقين للغتنا وأدبنا ، واعتناق آرائهم فى ذلك ، اللهم الا أن تكون دراساتهم اللغوية والأدبية والفنية فى لغاتهم وآدابهم وفنونهم معوانا على تمثيل - المتذوق الجمالى من تلاميذه مستشعرا أنماط الحياة الانسانية وأساليبها المتشابهة ، والتى نحتاجنا الى مثل ذلك فى حياة لغتنا وأدبنا وفنوننا ، على أن يظل رائد تلميذه - فى تذوقه الجمالى للفن القولى - هو اتصاله بقديمنا اتصالا ينال كل مستتر خفى ، جامعا كل ما تفرق ، مستخرجا منه خير ما فيه ، عارفا طابعه الخاص ، ومزاياه الفرقة بينه وبين غيره بعد

معرفته بمثل هذه الفوارق والخصائص لما عند الآخرين حتى يكون أخذه (أى المتذوق للفن القولى) أخذا على هدى وبصيرة " (٢٤) .

ويكشف لنا الأستاذ محمد خلف الله أحمد عن دقة وعيه متابعا - فى توسع يفرضه العصر بثقافته - لدعوى الخولى التجديدية فى شق أى باحث طريقه حبال التذوق اللغوى للبلاغة ناقدًا حين يقول :

" وخير زاد يتزوده دارس الأدب وناقده - بعد الثقافة المتعمقة فى الأدب شعره ونثره وقصصه ، وبعد التفقه فى الفروع التى عرفها الأقدمون بإسم علوم الأدب - قدر صالح من دراسات علم الجمال نظرية وتجريبية ، وقدر من الثقافة الفنية التى يشترك فيها الأديب والمصور والموسيقى والمثال : فالناقد الصالح يجب أن يكون فكرة واضحة عن الجمال ، ما هو ، وما صفاته وعناصره ، وهل هو موضوعى تمكن مشاهدته وقياسه والاتفاق عليه ، أم هو ذاتى يختلف حسب مزاج سامعه أو رائيه ... " (٢٥) .

ويضى خلف الله موضعا مكان علم الجمال من الدراسات النفسية وتأثير ذلك على التناول التذوقى النقدى للأدب قائلا :

" ... أصبح علم الجمال جزءا من دائرة أوسع هى دائرة علم النفس الذى شهدت الستون المئة الأخيرة نهضة شاملة فى طرق دراسته ونتائجه وميادين تطبيقية والذى تناوله الباحثون من وجهات نظرهم المختلفة ، كل يستمد من معينه زادا لصناعته وثقافته - وقد أفتاد نقاد الأدب على الخصوص من هذه النهضة اذ فتحت لهم دراسات الانسان أبوابا ومنافذ إلى فهم شعره ورواياته وانتاجه الفنى ، فراحوا ينادون بضرورة الانتفاع بالدراسات السيكولوجية فى فهم الفن والأدب " (٢٦) .

وهكذا حفزت دعوة أمين الخولى - التى نحن بصدها حول التذوق اللغوى البلاغى - هم المجددين فى التنقيب عن أسرار الابداع النفسى فى التذوق الأدبى كى يخوضوا فى شتى الدراسات التى تعين دارس البلاغة مجددا رؤيته لمصطلحاتها التقليدية تمهيدا بفعل فيها الذوق

المدرّب المسعّير فعله ، إذ أن " علم الذوق في عصرنا الحاضر - كما يقول الأستاذ خلف الله - أصبح جزءاً من دراسة أوسع طبعت بطابعها القرن الذي نعيش فيه ، هي دراسة السلوك الانساني في نواحيه العقلية : أي دراسة المواهب الفطرية والمكتسبة في الانسان ، دراسة العناصر التي تتألف منها شخصيته من غرائز وانفعالات وعواطف و ارادة ومزاج وذكاء وتفكير ، دراسة الأصناف الانسانية العامة التي ينتمي اليها هذا الفرد أو ذاك ، دراسة العقل الواعي والعقل الباطن " وأثر كل منهما في الحياة والفكر والفن والدين والاجتماع ، دراسة الانعاج الفكري وصلته بمنشئه ، ثم مسالكه الى قلوب دارسيه ومتذوقيه " (٢٧) .

فلم يكن التناول البلاغي التقليدي للنصوص ، يعاباً بمسألة التوصل الى قلب الدارس بقصد تحريك ذوقه قدر اهتماماته بالاستغراق في التقسيمات والتعريفات التي أثقلت روح الجمال الأدبي ، وأخرجت فنية تذوق النصوص الأدبيّة عن طبيعتها التذوقية الجمالية الى طبيعة البحث المنطقي أو الفلسفي .

" فعماد دراسة الأدب ونقده ، انما هو الذوق والمعرفة معا ، أو إن شئت فقل اللّوق المستنير ، الذي يستمد من ثقافته العامة ملهما روحيا يعينه على أن يستمتع بجمال الفن ويتعمق أسراره ، ثم يستمد من معارفه الواسعة ، وذهنه المنظم ميزانا يزن به مايقول اذا نصب نفسه للنقد والتحليل " (٢٨) .

هكذا يمكن للذوق عند - رجل البلاغة المستنير - ان يتحرك في اطار لغوي فني يزيد من رهافة حسه ، فيحول مايقراه من نصوص الى الهامات روحية تتصل بنفوس قرائه لتهدب وجدانهم ، وتنمي عاطفة محبة الجمال بما تحدثه من سرور ولذة نتيجة " الاستمتاع بالفن القولي " .

ولما كانت دراسة الشيخ الخولي ، وعقليته الفقهية مرتبطة بالمدرسة الكلامية المعتزلية ، فانه قد تأثر ، في كيفية دعوته تناول نصوص البلاغة

تناولا تذوقيا - بمفهوم الامام عبد القاهر الجرجاني حيال تربية الذوق الأدبي عند من أوتى الاستعداد للحس اللغوى ، إذ " انه لا يصادف القول فى هذا الباب مرقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يرمى اليه من الحسن واللفظ أصلا ، حتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ، وحتى اذا عجبته عجب ، واذا نهته لموضع المزبة انتبهه " (٢٩) .

فالبحت عن سر الجمال القولى ، أو ما يستحسن تسميته بالتذوق اللغوى البلاغى لا يمكن بلوغه الا لمن أوتى القدرة على أن تحدثه نفسه (وفق رأى عبد القاهر) بأن فى السياق اللغوى ما ينبىء عن ملمح جمالى ، وما رجل البلاغة - فى قرارة نفسه الفنية - الا رجل متذوق يطرب للأساليب الفنية من القول ، ويوازن بين بعضها البعض ، وهذا ربما يكون دافع الشيخ أمين الخولى أن يرى فى عبد القاهر بلوغا أدبيا خاصة فى كتابه " أسرار البلاغة " الذى يبدو أسلوبه فيه خاليا من الأسلوب المنطقى الاستدلالى ، ميالا الى طول النفس وبسطة العبارة ، والاعتماد على الحاسة الفنية وتحكيم الذوق الأدبي " (٣٠) .

فلا مندوحة عن أن تلحق صفة الأديب برجل البلاغة لوجوب اعتماد الأخير على أهم ما يتكلم عليه الأديب ألا وهو " الحاسة الفنية التى توجه الذوق الأدبي " .

وتأسيسا على ما سبق فان الدراسة لعلم النفس الأدبي ، انما هى أحد العناصر التى تعين دارس البلاغة على أحسن الوسائل التى يمكن بها تنمية الذوق الأدبي .

وهذا المعاصر الثانى للشيخ أمين الخولى - من بعد محمد خلف الله - والذى يمكن استلحاق كتابه " دراسات فى علم النفس الأدبي " بمنهج أمين الخولى فى مضمار حديثنا عن " التذوق الجمالى للبلاغة " ، وعن أثر علم النفس فى كشف بعض أسرار الابداع فيه ، ذلكم هو الأستاذ حامد عبد القادر .

ب - دراسات فى علم النفس الأدهى - تأليف حامد عبد القادر /
لجنة البيان العربى المطبعة التودجىة بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .

يقول الأستاذ حامد عبد القادر: " . . . وهل هناك من علم يساعد الأديب الناقد على دراسة عقلية الأديب المنتج غير علم النفس ، الذى بمعرفته يعرف القارىء مدى صدق احساس الكاتب أو الخطيب أو الشاعر ، ويدرك مبلغ ما فى أفكاره من سداد ، ومطابقة لمقتضى الحال ؟ . والأديب الناقد هو فى الواقع حكم يصدر أحكامه للنائر أو الخطيب أو الشاعر أو عليه ، فيستحسن ألفاظه ومعانيه أو يستهجنها . وكل شخص عرضة للخطأ فى أحكامه ، وقد يكون ذلك دون شعور منه ، فعلى الناقد أن يعرف الأسباب النفسية التى تؤدى الى الخطأ فى الحكم ليتجنبها ، فيكون حكمه سليما خاليا من شوائب التحيز ، بعيدا عن التأثر بالمزاج والميول الشخصية " .

وخلص القول : ان الأديب - منشئا كان أو ناقدا - فى حاجة ماسة الى دراسة علم النفس بوجه عام ، وإلى معرفة العمليات العقلية التى لها صلة وثيقة بالانتاج أو النقد الأدهى بوجه خاص ، وإلى الإلمام بمدى تأثير حياة الأديب العقلية فى مسلكه الأدهى بوجه أخص .

بعد هذا يسوغ لنا أن نقول " ان علم النفس الأدهى هو : (علم يبحث فى عقل الانسان من حيث كونه معبرا عن أفكاره بأساليب لغوية راقية ، أو مقدرًا لتعبير الناس عن أفكارهم بتلك الأساليب) " - (٣١) .

فالأستاذ حامد عبد القادر - وفق عبارته السابقة - نراه ينص على وجوب " دراسة علم النفس " من زاوية " معرفة العمليات العقلية التى لها صلة وثيقة بالانتاج أو النقد الأدهى بوجه خاص " وذلك حتى يتكشف صدق أهم ماتتحو اليه البلاغة ألا وهو - كما نعرف من تعريفات القدماء لها ، ويذكره هنا أيضا حامد عبد القادر - مطابقة الكلام لمقتضى الحال . ولهذا فانه يتردد فى ثنايا الكتاب المذكور عنصر كثيرا ما ألح عليه الخولى فى دراساته التجديدية

- والتي هي في أساسها محاضرات أقيمت على مدرسي اللغة العربية بغية النهوض بأساليب تدريسها - ألا وهو تبيان عقومات الدراسة النفسية لعملية التذوق البلاغي وأهميتها في توجيه أساليب مدرسي اللغة العربية حيال طلبتهم واضعين نصب أعينهم " أن تلوقنا للأعمال الأدبية ، ليس سوى تنظيم لأدراكنا لهذه الأعمال داخل أطر " استطبيقية " تحملها في مجالنا النفسى " (٣٢) .

ولن يتحقق ادراك هذه الأطر " الاستطبيقية " أو الجمالية ، الا بأن يتوافر لدارس البلاغة المقدرة على " تعلم اللغات بسهولة وبسرعة . . . لتعينه في شحذ ادراكه لما في النثر والشعر من جمال " (٣٣) .

فكان القضية تتحدد في سعة الاطلاع على النماذج الجمالية وما يمكن أن يثار حولها من مناقشات في لغاتها المتباينة كي يستبين لنا أسلوب تذوقى نستطيع بوساطته تبرير ما قد تركته هذه الآثار الفنية الأدبية في نفوسنا المهيئة لهذا النوع من الدراسة .

ولعل ذلك يفسر لنا لماذا يعود حامد عبد القادر مرة أخرى الى مقولة عبد القاهر - التي سبق أن أشرنا الى قتل الحولى لها - وهي :

" أنه لا يصادف القول في هذا الباب (بلاغة النظم الكلامى) موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة " (٣٤) .

فالمعرفة التي يعنيها عبد القاهر هي سعة الاطلاع التي من شأنها أن تعين المهياً لدراسة البلاغة على أن تنتظم المعانى في نفسه الانتظام الذى يقتضيه (فن القول) ، وتعلم اللغات الأخرى - غير العربية ، يتيح لدارس البلاغة العربية أن ينفسح أفق تفكيره وتتجدد لديه أساليب التذوق المتجدد تبعا لذلك نظراته الأدبية .

والشيخ أمين الحولى قد أخذ نفسه بهذا المقوم ، ألا وهو تعدد أساليب المعرفة من خلال تحصيله للغات مختلفة غير العربية مما مكنته أن يفرس في نفوس كثيرين من طلابه هذا العنصر ، فظهرت آثاره في مناهج دراساتهم التي

دارت حول التدوق اللغوي بلاغيا ونقديا للنصوص الأدبية ، متمثلين
الحالة النفسية لمبدعي تلك النصوص .

وكان هذا التمثل لحالة مبدع النص نفسيا هو ما دارت حوله جهود كل من
الأستاذ محمد خلف الله والأستاذ حامد عبد القادر ، الا أن الأول (محمد
خلف الله أحمد) كان أكثر خوضا في عرض نماذج من الدراسات النقدية -
عربية كانت أم أجنبية ، حديثة كانت أم قديمة - بقصد التذليل على مدى
تأثير الدراسات النفسية في توجيه من يجعلون من أنفسهم وسطاء بين المنشيء
والتدوق - نقادا - الى أنه بمقدار ما يعمق فهمهم لأسرار النفس الانسانية ،
ومن قدرتهم على تتبع الحركة الداخلية للطبائع المبدعة ، فانهم يكونون أكثر
اقتربا من تمثل هتصر الوجدان في العمل الذي يتصدون لنقده .

بينما انصب جهد الثاني (حامد عبد القادر) على ضرورة وقوف الوسيط
الناقد على العمليات العقلية الهامة المؤثرة في الانتاج والتقدير الأدبي من
مثل الادراك الحسى ، والتصور ، والتخييل وتداعى المعانى والحكم والتعليل
والحياة الوجدانية مع عرض آراء الفلاسفة في مقياس الجمال حتى يمكن لمن
يتصدى لتمثل النص الأدبي نقادا أن يعرف تأثير العقل الباطن في الانتاج
والتقدير الفني (٣٥) .

وكلاهما قد يعرض للبيت أو لمجموعة الأبيات كى يدل على صدق ما ينحو
اليه منهجه في الاقتراب نفسيا من عالم الابداع عند الشاعر ، الا أن التطبيق
التدوقى اللغوي (هدف أمين الخولي) دخولا الى دقائق العملية النقدية التى
تجعل من " الفن القولى " ماثرا خصبا للاستمتاع الأدبى المنضبط بشتى
الدراسات - لم يستين بوضوح لديهما بقدر ما صرح عن نفسه فى دراسات
تلاميذ الشيخ أمين الخولى الذين حاولوا أن يحققوا رؤيته التى يدور حولها
هذا البحث كل بطريقته التى سنعرض لها .

وأوضح مثل للتلاميذ النقاد ، رأيناها يعاثر آراء أستاذه الخولى من قريب
أو من بعيد - مضيفا - اليها ما يجعل منها جهدا لناهج نقدية تتسم

برؤية كل منهم وفقا لتنوع أساليب المعرفة لديه ، دون أن يبتعد عن
فشل العالم الوجداني لمنشئ ذلك العمل الأدبي - أقول أوضح مثل
هم ثلاثة :

الدكتور عز الدين اسماعيل والدكتور مصطفى ناصف
ثم الدكتور شكرى عياد

- ولقد بدأت بعز الدين اسماعيل لأنه أقرب (الثلاثة) الى أن يتأثر تنظيريا -
بالدرجة الأولى - بما جاء لدى محمد خلف الله وحامد عبد القادر، من : -
أ - تناول السمات الفلسفية الجمالية للغة في العمل (الأدبي)
(خاصة في الشعر) .
ب - وتوظيف النظريات النفسية لتفسير مايمكن أن يتفق مع هذه
النظريات من أعمال شعرية ونثرية .

ففى كتابه : الأسس الجمالية في النقد العربى ط١ سنة ١٩٥٥ دار
الفكر العربى يقول :

" إذا كانت اللغة كائنا حيا ، وليست أداة لتناقل الأفكار بين الناس ،
كان من الطبيعى أن ترتبط فلسفة اللغة بفلسفة الجمال ، كما ذكر
كروتشة . لأن كليهما يرتبط بالتعبير عن النفس ، ولايمكن وضع حد
فاصل ، بين حالة العقل والتعبير اللغوى ، بعبارة أخرى ، ليس هناك انفصال
بين الجملة النحوية أو البنية النحوية للجملة ، والجملة الانفعالية ، فالتحور،
كالبلاغة عندما ينتقل الى " الاستطيقا " تكون النتيجة هي الفصل بين
التعبير ووسائل التعبير . وهذا مجرد تكرار لأن وسائل التعبير هي تماما
التعبير نفسه ، بعد أن حطمه النحويون فلسفة اللغة ، بعبارة موجزة

تتحد وفلسفة الشعر والفن وإذا لم يكن من الممكن وضع حد فاصل بين التعبير اللغوي والحالة العقلية ، وكان التلازم بين الاثنين ضروريا ، كان هذا القول كفيلا بأن يضمن للغة - ذلك الكائن الحي - التجدد المستمر ، فالمشاعر الجديدة دائما تحدث تفيهرات مستمرة في الصوت والمعنى " (٣٦) .

فاللغة الفنية - وفق ما جاء على لسان عز الدين اسماعيل ، إنما هي تعبير متجدد لصياغات تراعى الأصول النحوية التي بوجيها التعبير عن موقف نفسى معين ، ولما كانت المواقف النفسية تتجدد دوما ، فإن اختيار الألفاظ الدالة على مثل تلك المواقف لابد أن يوحى - من خلال أصوات تلك الألفاظ ومعانيها - بتجدد في المشاعر التي عبر عنها الأديب ، ذلك أن " كل انسان يتحدث ، وينبغى أن يتحدث تبعا للأصدااء التي تثيرها الأشياء في روجه ، أى تبعا لمشاعره وتبعا لهذه المشاعر تتكون العبارة ، وهى فى كل حالة عبارة نحوية سليمة ولكنها مختلطة بانفعال خاص ، ويوم تكون الأصوات لفة أى يوم تكون تعبيراً ، يكون النحو والانفعال فى العبارة شيئاً واحداً " (٣٧) .

فالتعبير عن المشاعر يتحدد خلال " فن القول " الذى تحكمه قواعد النحو التى تختلط بانفعال معين ، أى أن تضع - على حد قول عبد القاهر - لغتك الفنية أو " نظمك " الوضع الذى يوجه علم النحو ؛ فليست بواجب شيئاً يرجع صوابه ان كان صواباً ، وخطؤه ان كان خطأً ، الى " النظم " ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معانى النحو قد أصيب به موضعه ووضع فى حقه . . . " (٣٨) . فهذا التعبير الفنى الأديبى أو " النظم " الذى فيه النحو يختلط بانفعال معين ، يتشكل أو يتركب من أصوات الألفاظ ومعانيها ، وهو ماجعل عز الدين اسماعيل يرمى منقبا فى الأبحاث الأوروبية عن مفهوم الإيحاء ، ومايستتبعه من دراسات حول الإيقاع والوزن كى يحقق مقولة أستاذه الخولى بأن رجل البلاغة أو الناقد (وهو فى أساسه متذوق

لغوى جمالى) لابد له أن يزن وقع الكلمة صوتيا فى العمل الأدبى وما يمكن أن توحى به هذه الأصوات من معان حتى تحدث الأثر النفسى المطلوب (٣٩).

فلقد عرض لآراء الناقد الأمريكى " دونالد ستوفر " فى كتاب هذا الأخير المسمى " طبيعة الشعر " (٤٠) متوقفا عند اللغة فى الشعر وكيف لها أن تنقل الأثر من المبدع الى المتلقى نقلا أميناً ، وما ذاك الا لأن " الألفاظ الشعرية تعين على بعث الجو بأصواتها ، فالعلاقة بين الأصوات فى الشعر - كالموسيقى تماما - يمكن أن تثير متعة تدوق الانسجام الحى ، سواء بالأجزاء المكررة أو المنوعة أو المتناسبة والكلمة الشعرية كذلك يجب أن تكون أحسن كلمة تتوافر فيها عناصر ثلاثة : المحتوى العقلى ، والايحاء عن طريق المخيلة ، والصوت الخالص . ويجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالا ايقاعيا بحيث يؤدي هذا التلون الايقاعى الى الغاية المطلوبة " . . .

فالانسجام على الاستمتاع بالتدقيق اللغوى حين مراعاة النسق فى صوت أحرف الكلمة شعريا بقصد تحريك الخيال هو مبدأ هام من مبادئ النقد الأدبى المعاصر سماه البيوت " بالخيال السمعى " . (٤١)

ولقد أشار اليه الشيخ أمين الخولى كى يكون معينا على استكناه البعد النفسى فى التلوق البلاغى غير بعيد عن ذهنه - دون شك - رأى عهد القاهر فى كتابه " المتعدد " عن التشكيل الصوتى للكلمة الفنية (٤٢).

ويمضى " عز الدين اسماعيل " فى ايراد رأى شاعر وناقد فرنسى آخر هو " بول فاليرى " مؤكدا فكرة " دونالد ستوفر " السابقة حيث يقول : -

... " ليست الأفكار التى تظهر أو يوحى بها نص القصيدة ، هى الشئ الوحيد والرئيس فى الكلام ، ولكنها وسائل تشترك بالتساوى مع الأصوات والايقاع والانسجام والزينات فى أن تثير نوعا من

العوتز أو الهياج . وأن تخلسق فينا عالما - أو حالة من الوجسود - غاية فى الانسجام .^(٤٣)

فمقومات الشعر الفنية صوتيا ، هدفها النهائى احداث انسجام لدى المتلقى وبطبيعة الحال ، ان هذا الانسجام لن يحدث الا اذا تقبله " اللوق " الذى هو محك الاستمتاع الفنى لوقع اللفه فى نفس رجل البلاغة .

ويرى " ستوفر " أن " الابقاع غير الوزن " ^(٤٤) وكثيرا ما يضطر الى تغيير الوزن اذا تعارض مع الابقاع ، حتى ان " أكثر الأبيات الشعرية امتلاء بالمعنى ، وأكثرها حيوية هى تلك التى تتوازى فيها حركات الابقاع الموحية والحركات العقلية " ^(٤٥) .

واصرار عز الدين اسماعيل على المضى فى متابعة وجهة نظر الناقد الأمريكى " ستوفر " - حول ضرورة توافر الابقاع فى قصيدة الشعر وان أدى الى مزاحمة الوزن وتغييره - يلفت النظر الى المبدأ الذى سبق أن استكشفناه فى آراء أستاذه الخولى حول " درية سمع الناقد على تقدير وقع الكلمة من السياق ، وعن أثر ذلك ابحاثها ، خلال تناول التدقيق البلاغى ^(٤٦) .

ولن تقوم درية للسمع الا بعقد ألفة بينك وبين النص (المطلوب تحليله بلاغيا) لتعيشه أطول فترة ممكنة تسمح لك بشيء من السيطرة الفنية على " القول الفنى " المطلوب استجلاء جمالياته البلاغية تلوقيا ^(٤٧) .

ولما كان للمعرفة دور كبير فى توجيه ذوق رجل البلاغة ، كما سبق أن عرضنا من منهج الخولى المتأثر بعبد القاهر ، فان الأمر هنا أيضا مع " عز الدين اسماعيل " - جريا على نهج أستاذه - مازال سيرا على نفس الدرب ، حين يقارن عز الدين اسماعيل بين مفهوم النقد الأوروبى (ممثلا فى الناقد ستوفر) للقصيدة ، ومفهوم " عمود الشعر " التقليدى عند العرب ، ...
فالقصيدة عند النقد الأوروبى ممثلا فى الناقد ستوفر تجربة فردية ، وكون القصيدة تجربة فردية يستدعى أن تكون القيم الفنية المودعة فى القصيدة

مصطفة أيضا بالصيغة الفردية . . . وقلنا تجربة فردية ينطوى على كثير من المعنى . . . وأغلب الظن أن الشعر العربى ، والنقد العربى ، لم يعرفا هذا التعبير ، ولا ما ينطوى عليه من معنى . حدثنا الشعراء عن معاناتهم العملية فى تأليف الشعر ، وعن الصعوبة التى يلاقونها من يروم هذا العمل لطول سلمه ، كما حدثنا النقاد عن المزاولة وطول الملاسة ، ولكن الأولين كانوا يحدثوننا عن صعوبة عملية التأليف وكتابة الشعر ذاتها ، كما أن الآخرين تكلموا عن الطريق التى تهون من هذا الأمر على الشاعر ، وتخفف من هذه الصعوبة ، أما التجربة الشعرية بحسب الفهم الحديث ، وفردية هذه التجربة ، فلم يولها أحد عناية خاصة " (٤٨) . . . وخلص عز الدين اسماعيل الى أن " مبادئ استوفر " عن التجربة الشعرية قد استمدتها من الفهم لطبيعة الشعر ، فهى " مبادئ نابعة من طبيعة الموضوع ، مشتقة منه ، وليست مفروضة عليه ، فى حين أن مبادئ " عمود الشعر " قائمة على ذلك الأساس من الفهم الجزئى الخارجى (يعنى بذلك البيت أو مجموعة الأبيات) لطبيعة الشعر . صحيح أن مبادئ عمود الشعر قتل المثل الفنية التقليدية ، للشعر العربى ، وصحيح أنها استنبطت منه ، ولكن رغم أنها . . . تقليدية فإنها فقدت عنصر الاصاله والفهم الصحيح ، وقامت على أساس فهم آخر لطبيعة الشعر . (٤٩) .

وهكذا يجرؤ تلميذ الخولى - ألا وهو الناقد عز الدين اسماعيل - على التصدى للأراء البلاغية القديمة (حول عمود الشعر العربى) مقارنة بينها وبين ما استقرأه فى النقد الأوروبى ، ليدلل على مفهومه المتجدد - فى حينه - كباحث متخصص لطبيعة عملية التناول التلوقى للعمل المنقود ، محققا مقولة الخولى التى ترددت كثيرا ألا وهى أن (أول التجديد فى قتل القديم فهما) (٥٠) .

وعلى تلك الصورة السابقة التى عرضنا لها كان تناول السمات الفلسفية الجمالية للغة فى العمل الأدبى (خاصة الشعر) لدى الدكتور عز الدين

اسماعيل كما سبق أن ذكرنا فى هذا البحث (٥١) .
وهذا بدوره يقودنا الى عمل آخر من أعمال الدكتور عز الدين اسماعيل نراه
فيه يحقق " توظيف النظريات النفسية لتفسير ما يمكن أن يتفق مع هذه
النظريات من أعمال شعرية ونثرية ألا وهو كتابه :

التفسير النفسى للأدب ، عز الدين اسماعيل، دار المعارف ، ط
القاهرة ، ١٩٦٣

وهو يقرر فى " الافتتاح " من الكتاب المذكور أثر أستاذه الخولى فى توجيهه
الى دراسة علم النفس ليفيد من الدراسات الأدبية وذلك من خلال بحث " أمين
الخولى " (البلاغة وعلم النفس) الذى " أكد فيه الاتصال الوثيق بين البلاغة
وعلم النفس ، وأثر الخبرة النفسية فى العمل الفنى) كما لفت الى
فائدة الدراسات النفسية بالنسبة لدارس الأدب من حيث انها
تعوده ما سماه " المشاهدة النفسية " (٥٢) .

ويخيل الى أن المقصود بقول الخولى : أثر الخبرة النفسية فى العمل الفنى " .
أى ما يلزم منشىء العمل الفنى من معايشة لموضوعه أثناء فترة معاناته
الابداعية لتרכيبة ذلك العمل كى يكون أقرب الى ما نسميه فى النقد
المعاصر بالصدق الفنى . أما ما يخص متذوق البلاغة أو الناقد فهو قول
الخولى : " بأن الدراسات النفسية من شأنها أن تعين دارس الأدب (وهو هنا
متذوق البلاغة الناقد) على تعويده (المشاهدة النفسية) أى المشاركة
الوجدانية المدربة على تمثل العمل الفنى تمثلا يدفعه الى تناوله تناولا أدبيا
أقرب إلى الموضوعية التى تفرضها المعرفة بالنظريات النفسية . أى ما يسميه
عز الدين " مدى لجحاح هذه الحقائق النفسية فى تفسير العمل الأدبى " .
(٥٣)

وعرض " عز الدين " لرأى علماء النفس فى الفنان ، اذ يسلمون " بأن

الشاعر عصابى على نحو فريد ، الا أن قدرته على استخدام عصابيته ليست بالتأكيد عملا عصابيا ، وهو لا يوحى الا بالصحة ، فالفنان يشكل أخيلته ويجعل لها شكلا وأصلا اجتماعيا - (٥٤) .

" وفرويد " نفسه لا يرى فى عصابية الفنان مرضا ذلك " أن الفنان ليس كالعصابى من حيث أنه يعرف كيف يجد مخرجا من عالم الخيال ، وأن يعود ليضرب فى الواقع بقدم ثابتة " (٥٥) فالشاعر - كما يقول تشارلز لام - يحلم وهو يقظان فلا يتسلط عليه الموضوع وإنما يسيطر هو عليه ، أى أن الشاعر يتحكم فى خياله ، فى حين أن المميز الصحيح للعصابى هو أن خياله يتسلط عليه فاذا أهم الأديب موضوع اختزنه فى نفسه ، ولكن هذا الاختزان ، يستطيع هو أن يحوله من حالة مرضية - على حد قول علماء النفس - الى موضوع انسانى فى شكل فنى يحقق الرضا أو الراحة النفسية أو ماسبق أن سماه أرسطو " بالتطهير " .

فهو يعاقل - من " حالة " احساسه الحاد بواقعه النفسى الذى يموج بألوان الصراع . أن يهدع " عملا فنيا " يخلصه من هذا الواقع ، وينقل الى الآخرين عدوى خلاصهم هم أنفسهم مما يقلقهم فى واقع حياتهم فالفن نوع من الدفع الداخلى الذى يستولى على الكائن البشرى ويجعل منه أداة له . وليس الفنان شخصا ذا ارادة حرة يسعى الى رغباته الخاصة ، وإنما هو شخص يسمح للفن أن يحقق أهدافه من خلاله فهو " انسان جمعى " يستطيع أن ينقل ويشكل اللاشعور أو الحياة الروحية للنوع البشرى " (٥٦) .

فى مجال الشعر - وهو ما يهمنى من كتابه - بصدد بحثنا هذا - يرى عز الدين اسماعيل . . . " أن الشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية بشتى أنواعها ، فإنه لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات ، بل الحقيقة أن يقصد بها تمثيل تصور ذهنى معين له دلالة وقيمتة الشعورية ، وكل ما للألفاظ الحسية فى ذاتها من قيمة هنا ، هو أنها وسيلة الى تنشيط الحواس . . . " والصورة فى الشعر " هى وسيلة لنقل الشعور أو الفكرة -

يقول عز الدين اسماعيل نقلا عن " هوبلى " فى كتابه " العملية الشعرية " " ان الشعور ليس شيئا يضاف الى الصور الحسية ، وانما الشعور هو الصورة أى أنها الشعور المستقر فى الذاكرة ، الذى يرتبط فى سرية بمشاعر أخرى ويعدل منها . وعندما تخرج هذه المشاعر الى الضوء وتبحث عن جسم فانها تأخذ مظهر الصورة فى الشعر (٥٧) .

فوظيفة الشاعر هو أن " يساعدنا على تحقيق مشاعرنا من خلال الانارات المتعومة التى تثيرها فيها صورة " . (٥٨) .

فقيمة الصورة الشعرية تبدو فى الحقيقة أنها فنية يتخلها الشاعر مركبا يبحر فيه خلال بحور مشاعرنا المهتاجة ، فيعدل من اندفاعات أمراجها المضطربة نفسيا بغية تنظيمها لتهدأ أى أن الصورة ليست هدفا فى ذاتها الا بمقدار ما يمكن ان يستفاد منها فى توجيه خيط مشاعرنا توجيها ابحاثيا يرجى من ورائه امكان معاونتنا على تلوق ابداعات " فن القول " مهما تعددت اشكالها لنستسيغ وقعها فى نفوسنا .

وهنا نجد عز الدين اسماعيل مازال حريصا على الاستمسك بنبراس أستاذه الخولى فى دعواه لمدارسة البلاغة - على أيدى مدرسى اللغة العربية - بصورة تجتذب نفوس التلاميذ ، وتعودهم كيف يمكن للصورة الشعرية - كما سبق أن أوردنا - أن تكشف عن أبعاد نفسية قائلها ، دون أن تتعجز ذاكرتهم على اقتناص الشكل المحدد فقط لتلك الصور فى تقسيماتها البلاغية التقليدية من تشبيهات واستعارات وكنائيات ، فتفتقد البلاغة الهدف الانسانى من وراء تدريسها وفق رؤية الخولى التى نحن بصدها .

يقول عز الدين اسماعيل : " وقد عرف معلمو البلاغة - أو لعلمهم عرفوا الآن - أن حفظ التلميذ للتشبيهات والاستعارات الناجزة لايصنع منه شاعرا أصيلا ، اذ أن البلاغة لا بد أن تبدأ حركتها من النفس ، فتنبت مع الشعور ولا تكون سابقة له ، ذلك أن قيمة الصورة الشعرية - كل صورة - قيمة منتهية وليست

قيمة أبدية أو ثابتة . وليست هناك قائمة بالصور أو التركيبات الحسية ذات الشحنات المرصودة من الشاعر يمكن أن يلجأ إليها المتفان حين يشاء ليتخذ منها أدوات للتعبير عن نفسه . ولو وجدت لضاعت كل أهمية للشعر ولحسن الحظ لم يفن رصد مجموعة من التشبيهات والاستعارات في كتب البلاغة عن طموح الشاعر دائما للإبداع الجديد في مجال الصور . (٥٩) .

ويعرض عز الدين اسماعيل لتحليل بعض الصور الشعرية محللا إياها - بلاغيا - مقارنا بينها معخذًا معك التذوق النفسى حكما لتحليله ومقارنته ، اذ يعرض لقصيدتين : احدهما للشاعر محيي الدين فارس تحت عنوان " ذات مساء " والأخرى ، لملك عبد العزيز بعنوان " نجمة الغروب " .

ففى " ذات مساء " لمحيى الدين فارس يقول الشاعر :

" ذات مساء عاصف

ملفع الأفاق بالغيوم

والبرق مثل أدمع تفر من محاجر النجوم " (٦٠)

يعلق عز الدين اسماعيل قائلا : " اذا نحن تجاوزنا السطرين الأولين الى الثالث صادفنا فى هذا السطر تشبيها واستعارة أما التشبيه ففى قوله " والبرق مثل أدمع " وأما الاستعارة ففى " محاجر النجوم " . ترى هل يصنع هذا التشبيه ، وهذه الاستعارة كلاهما صورة فنية ؟ أيتعاونان معاً - على أقل تقدير - على إبراز تلك الصورة فى ذلك السطر من الشعر ؟

من الناحية البلاغية الصرف - يمكن انتقاد التشبيه من حيث إن علاقة التشابه غير قائمة ، فالبرق ليس كالأدمع . البرق لمح خاطف والدموع تترقرق فى العيون أو تنساب هونا . وكون هذه الأدمع " تفر " من محاجر النجوم لايعنى انها كالبرق ، تلمح فى لحظة ثم تختفى .

ان فرار الدمعة من العين ، تصوير لحركة خروج الدمعة ، أى أنه تصوير
للفعل ليس تصويرا للشئ نفسه .
هذا من ناحية التشابه المحض . أما من ناحية الاثارة - وهى الأقرب الى
المقصود من الصورة - فالمعانى النفسية التى يثيرها البرق تكاد لاتلتقى فى
شئ مع ماثيره الدموع ، سواء أكانت هذه الدموع بعد ذلك تفر من " عين
الانسان " أم من " معاجر النجوم " فالتشبيه على هذا النحو يكاد
لايفى بالفرض البلاغى القديم ، فضلا عن الغاية التصويرية . انه بعبارة
أخرى لم يزدنا معرفة بما هو معروف فضلا عن أن يستكشف لنا ظهر
المعروف . (٦١) .
. وتقول الشاعرة ملك عبد العزيز فى أغنيتها الأرى " الى نجمة
الغروب " ،

هناك خلف النجوم
وخلف أستار الغيوم والظلام
ترجع الاله (٦٢)

ويستوقفنا هنا بصفة خاصة قولها " غابة النجوم " ، فكلمة " غابة " هنا قد
ابتعثت فى نفوسنا ازاء النجوم فى السماء فيضا عن المعانى والمشاعر .
الغابة ترتبط فى نفوسنا بمعانى الظلام والوحشة ، وقد ترتبط بمعنى
الضيق ، فنحن فى حياتنا لم نعرف الغابات الطبيعية . ولم نتخذ منها -
كما يصنع الأوروبيون مثلا - ملاذا من حرارة الجو أو مسرعا للعشاق ، والا
لكان لها فى نفوسنا وقع آخر . وانما ترتبط مشاعرنا ازاء الغابة بقصص
الطفولة الخرافية وما فيها من تهاويل وتصوير . ان اختراق الغابة والخروج
منها خروج الى بر الأمان ، الى النور والحياة . فالغابة اذن فى هذا السياق
الشعرى لا يهد أن تكون صورة للاحساس بالحجاب الكثيف والحائل الصفيق دون

الشاعرة والحقيقة ، دون الشاعرة والنور ، وان تكن هذه القابة من النجوم .
فالنجوم المتلاثة ، رغم نورها الساطع ، ليست الا غابة موحشة رهيبة .
وهذا النور المنبعث منها ليس - فى احساس الشاعرة - نورا على الاطلاق ،
وانما يكمن النور خلفها .

وهكذا استطاعت " غابة النجوم " فى بساطة عجيبة أن تولد فى نفوسنا هذه
المعاني . وربما ولدت غيرها فى نفوس آخرين ، فان ميزة الصورة المحسنة
أنها تستطيع أن تشع فى كل الجهات ، وأن تسمح لك باستكناه
المزيد من المعاني كلما أوغلت معها بحسبك .
" انها صورة معطاة ، تكشف عن الجديد دائما " (٦٣) .

هكذا عرضنا لتعليق الدكتور عز الدين اسماعيل حول النصين السابقين لكى
نستبين كيف أنه فى تعليقه البلاغى التلوتى يعول على ماثيره الصورة
الشعرية من معانى نفسية - وهى دعوى الخولى أستاذة - وهو يطلب من
هذه الصورة أن تستكشف لنا - بعد ما هو معروف من المعانى -
ما هو غير معروف . ويخيل الى أن " ما هو غير معروف " يعنى به هز
الدين اسماعيل " معنى المعنى " الذى قال به الامام عبد القاهر وردده
النقاد المعاصرون من أمثال " ريتشاردز " و " البيوت " واذا أفلمت هذه
الصور فى ارتباطها بالتعبير النفسى وبالايحاء بمعنى المعنى ، فلا بد
أن تكون صورا ثرية حية نامية ، ذات قوة تدفعها الى الاتحاد مع غيرها من
الصور ، كى تكشف عن الفكرة التى ملأت نفس الشاعر فيستطيع المحلل
البلاغى المتذوق ذو المعرفة الواسعة أن يصل ما بينها موضحا خط توحيدها
النفسى (٦٤) . " فتحليل الصور الشعرية الجزئية فى ضوء الحقيقة النفسية
- كما يقول عز الدين - وسيلة ناجحة لتمثل الاطار النفسى للتصيدة كلها ،
وتعلمنا للاطار النفسى للتصيدة - أى للدلالة أو مجموعة الدلالات
النفسية التى تكمن خلف الألفاظ وخلف العراكيب اللغوية وخلف
الصور - هو الضرورة التى يسلم بها الآن كل دارس للأدب وكل

ناقد على السواء .

وقد اتضح لنا من خلال تلك التحليلات أن كثيرا من الأحكام النقدية القديمة قد صارت في حاجة الى التعديل ، لأنها لم تبني على أساس من الدراسة المتعمقة " (٦٥) .

فالآطار النفسى - الذى يجب أن يتحرك داخله المحلل البلاغى المتذوق أو الناقد - يتمثل فى مجموعة الدلالات النفسية التى تسرى خلف الألفاظ " المنظومة" فى تراكيب لغوية وكذلك فى صور فنية شعرية بغية الكشف عما وراء المعنى أو " معنى المعنى " ، ومن شأن هذا أن يجدد فى أسلوب تناول التذوقى البلاغى الذى لابد أن يعدل من الرؤى البلاغية الاصطلاحية ذات التقسيمات الجامدة ، ويبحث فيها نهض الهوية المرتبطة بالمشاعر النفسية المتغيرة ، وهو ما حارل الخولى أن يشجع تلاميذه عليه فى مدارس البلاغة ، ومنهم الدكتور عز الدين اسماعيل الا أن الأمر فى هذا الشأن التجديدى البلاغى التذوقى ذى الدلالة النفسية التى تكمن وراء التراكيب اللغوية المتضمنة صورا بلاغية حية - ما كان وقفا على الدكتور عز الدين اسماعيل وحده ، بل انه قد فرض نفسه باستفاضة فى نتاج تلميذ (ثر الابداع متعددة فى هذا المجال) من تلاميذ الشيخ الخولى ألا وهو :

د . مصطفى ناصف

أولا : فى كتابه نظرية المعنى فى النقد العربى ط ٢ سنة ١٩٨١
دار الأندلس للطباعة ، بيروت :

والكتاب المذكور يعنى فيه مؤلفه بأن يعاد النظر فى فكرة التفسير الأدبى بادنا بوجهة نظر أستاذه الشيخ أمين بأن تراجع أنفسنا فى فكرة تفسير القرآن تفسيرا أدبيا ، اذا أردنا أن نتحقق من فكرة

الاهجاز التي دارت حولها دراسات معظم البلاغيين .
يقول ناصف :

... " أن نعيد النظر في أمر التفسير الأدبي ، والمستوى الظاهري بخاصة ،
اذ يخيل الينا أن الذين تفلسفوا أو تصوفوا لم يكونوا على خطأ دائما .
وذلك معناه أنه ينبغي أن تراعى - كما قلنا - عدة زوايا في وقت واحد .
ومن أهم هذه الزوايا ماقاله الصوفية أحيانا في تحليل العواطف
الدينية المتعلقة بالخوف ، والتقوى ، والايمان ، والسلام فكل هذه
المعاني الهامة دخلت في معجم المتصوفين ، ولونها بلونهم العقلى الخاص ،
لكننا لانستطيع رفض كلامهم كله ، فمنه قدر لا بأس به يمكن الاستفادة
منه ، وأهم من المادة تلك الروح التي أشاعوها ، وهى - فى نظرنا -
أولى بالعناية من التحليلات الشكلية أو السطحية التي أولع بها
الآخرون بالدراسة البيانية ، فلم يكن هؤلاء جميعا ينظرون نظرة تقدير
الى قدرة التحليل النفسى التي ظهرت بوضوح على أقلام بعض
المتصوفين " (٦٦) .

فالدكتور ناصف يعتمد - فى معاودته النظر آراء الذين تصدوا لتفسير القرآن
(خاصة المتصوفين) - على وجوب مراعاة " عدة زوايا فى وقت واحد "
اذا أريد لنا أن نتفهم مايمكن وراء العاطفة الدينية من مؤثرات نفسية تتفاعل
مع بعضها محدثة مايعرف " بالوجدان الدينى " (٦٧) .

ذلك أن الخوف " متداخلا مع التقوى " متشبها " بالايمان " منتهيا الى "
اقرار " السلام ، من شأنه جميعا - عند المحلل البلاغى لما وراء الظاهر
المعنى - أن يحدث أثرا موحدا متجمعا فى ما نسميه " الوجدان
الدينى " .

فاخوف والتقوى والايمان والسلام كلها حقائق قديمة ، قد استقرت متباعدة
عن بعضها لدى كثير من التفسيرات التي تدور حول النص القرآنى ، ولكنها
لو أريدت رؤيتها رؤية أدبية متجددة - فى ضوء معارف علمية كشفها

التحليل النفسى - لأمكن للمحلل البلاغى المتلوق ، أن يستبين وحدة ما من خلال تلك المتناقضات تهدبنا الى المعنى المستهدف ، وهو ما لم يهتد اليه رجال البلاغة فى دراساتهم البيانية المهتمين فيها بالتقسيمات السطحية والشكلية اللهم الا فى بعض نظرات عبد القاهر - وهو أثر من خطة أمين خيال تجديد منهج طلابه فى البحث البلاغى جماليا - خلال كتابه " دلائل الاعجاز " وفيها يحاول " التعرف على بعض تفصيلات الترابط بين الكلمات بقصد تسديد فهمنا وأحكامنا المتعلقة بالعبارة الأدبية " (٦٨) .

ويمضى مصطفى ناصف وراء " فكرة الترابط " هذه عند عبد القاهر ، ليدلل عليها تطبيقيا من خلال ادراكه لما وراء اعجاب عبد القاهر بلاغيا بتشبيه التمثيل فى قول " بشار " :

كأن مشار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكب

فيقول :

.. " وصياغة التشبيه فى مثل هذا البيت جزء أساسى من قوته ، وذلك أن من الممكن - كما يقول عبد القاهر - أن يعاد التشبيه فى كلمات ونظام آخر أقل روعة من هذا النظام ، ولذلك/ يقول عبد القاهر ان طريقة الشاعر فى بناء وحدة خاصة للكلمات فى مثل هذا البيت ، هى التى أضافت الى قوة التشبيه " (٦٩) .

هذا الذى يقول عنه مصطفى ناصف " طريقة الشاعر فى بناء وحدة خاصة للكلمات " يوضحه هو نفسه فى نفس الكتاب (نظرية المعنى) قائلا :

.. " الشاعر بذلل الأساليب المتفق عليها أو يستخرج ما فيها من قوة كامنة " (٧٠) .

فكيف بذلل الشاعر الأساليب المتفق عليها ، لكى يصل الى أقصى إحاء بما يريد ، وهو ما يعنيه بقوله " يستخرج ما فيها من قوة كامنة " ؟

ان مصطفى ناصف يرجع الى قول أستاذه حول ما يجب خيال " فنية البلاغة "

الواجب اتباعها في التفسير الأدبي للقرآن " باستجلاء قسّمات الجمال القولى لاستشفاف خصائص التراكيب العربية " (٧١) .

وفى اطار استشفاف خصائص التراكيب العربية ، يرى مصطفى ناصف ، أن القوة الكامنة التى يفجرها الشاعر بصياغته لشعره تتركز على " الارتباط بين الكلمات ارتباطا داخليا عضويا باطنيا ، فالكلمات نتجت عن السياق ، واللغة فى شكل سياق قوة فاعلة تعطى للأجزاء دلالات أو فاعليات خاصة . ومعنى ذلك أن هناك حركة خلق مستعمرة فى اللغة وتكيفاتها " (٧٢) .

فكأن مصطفى ناصف قد بحث - لغويا - عما يساند الموقف النفسى وراء ارتباط كلمات نص الشاعر " ارتباطا داخليا عضويا باطنيا " . وهذا البحث اللغوى تجسم فى فكرة السياق وما يستتبعها من دفع لحركة الدلالات أو الفاعليات التى تجعل من اللغة الأدبية حركة خلق حية مستعمرة ، وما ذاك البحث اللغوى فى صميمه الا " استغلال امكانيات النحو التى لا نهاية لها حتى تتحول التراكيب اللغوية - بفعل قوة صهر الشاعر لها - الى تراكيب ابداعية " (٧٣) .

وتأسيسا على ذلك فلا مفر من العودة الى الموجه الذوقى البلاغى الأول - الذى فتح الطريق أمام نظرة (أستاذ ناصف - أعنى الحولى) التذوقية للبلاغة ألا وهو عبد القاهر الذى عقد له ناصف بحثا يختص بالنحو والشعر فى قراءة حديثه لدلائل الاعجاز (٧٤) حيث يقول ناصف :

..... " البلاغة خبرة متسامية بالنحو ، فاذا وجدت الناس يشرحون نصوص الشعر ويقلبون عقولهم فيه دون احتكام الى أنظمة نحوية فعالة ، فمن الممكن أن تنصرف عما يصنعون ، أو أن تشك فى قيمة النتائج التى يمكن الوصول اليها " .

فالاحتكام الى الأنظمة النحوية الفعالة مدخل مهم - كما يقول ناصف - للخبرة ببلغة الشعراء ، فالنحو جزء أساسى من فقه الشعر أو دراسة الأدب

، ولذلك فإن " دلائل الاعجاز " لعبد القاهر ، يرى فيه ناصف " فريضة ، مطوية لكل دراسة لغوية يعنىها الاحساس بالصعوبات الكامنة وراء تمييز التراكيب بعضها من بعض وتعلقها بالمعنى " (٧٥) .

فمتذوق البلاغة هو المعنى بالدراسة اللغوية التى من شأنها أن تميز بين التراكيب وصولا الى ما وراءها من معان ، ورحلة الوصول الى ما وراء التراكيب - التى هى فى حقيقتها أشكال نحوية - هى المرحلة الصعبة أو الهامة التى من خلالها يمكن أن نتلمس وجه الجمال فى التعبير الأدبى لغويا ، وذلك أن " النحو أداة تساعد على فهم نشاط اللغة ، ولذلك فهو محتاج منا - نحن متذوقى البلاغة - الى معاودة عناء ، والغاية من هذا العناء - الفنى - هو كشف أعماق لحياة اللغة ، وانكساراتها داخل العمل الفنى " (٧٦) .

ولما كان " الشعراء هم أمراء الكلام .. يصرفونه أنا شامرا " - كما نقل عن الخليل بن احمد - (٧٧) فانهم لابد مستعينون بالنحو فى سبيل صياغة عبارات جديدة ، تبدو فى بلاغتها مناسبة لطبيعة تهارهم الابداعية " فالنحو - كما يقول ناصف - مشغلة الفنانين والشعراء ، والشعراء أو الفنانين ، هم الذين يفهمون النحو ، أو هم الذين يبدعون النحو ، فالنحو ابداع ... ذلك أن النحو جزء أساسى مما نسميه نشاط الكلمات فى الشعر " (٧٨) ، و " نشاط الكلمات فى الشعر " تبدو قضية نقدية شغلت مصطفى ناصف وجعلته يوظف معظم دراساته - البلاغية النقدية - متوفرا على إبراز ما فيها من جماليات لغوية ، واصلا اياها بالدراسة البلاغية القديمة ، متساميا بها الى آفاق الدراسات النقدية المعاصرة (أعنى بها الأسلوبية) مما يجعله - فى نظرنا أكثر أبناء الحولى (بالرأس) جرأة مستمرة متنامية فى سبيل دراسة تذوقية لغوية بلاغية معاصرة .

فى حديثه عن كيفية تناول فهم الاستعارة بنظرة يوظف فيها الأخذ بالدراسات

النقدية المعاصرة يقول : -

" وقد شغلت الاستعارة حيزا ضخما من مباحث النقد والاستطيقا الحديثة والمعاصرة وشاع بين كثيرين السخرية بفكرة الجاذبية الحسية " الشديدة " التي يتكىء عليها بعض المتحدثين فى الشعر . لقد أخذنا على عاتقنا مهمة إبدال ألفاظ بأخرى (يقصد أننا أصبحنا نتحدث عن حسن التأليف أو الاستعارة مخترعين لها لفظا جديدا هو " الصورة ") ، وليست العبرة بأن تسمى الأشياء ، بل العبرة بأن نغير أسلوب فهمهما والتعبير فى مفهوم الاستعارة خاصة ، أولى بأن ينضر وجه الشعر ويزيدنا بصرا به ، لو أوليناه عنايتنا ، واعتبرنا بتفرغ فلاسفة واستاطيقيين ونقاد عديدين له فى العالم الحديث ، ويذكر منهم ماكس بلاك ، ومنرو بيردزلى ، وأون بارفيد ، وكليانت بروكس ، ووليم امبسون ، ومارتن فوس ، وايزابل هنجرلاند ، وأبراهام كابلان ، وأندرو أوشنكو ، وفيليب هولريرت ، دع عنك ريتشاردز أحد راندين كبيرين فى النقد الانجليزى الحديث . . لأضرب مثلا قول كثير :

ولما قضينا من منى كل حاجة . . . ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على دهم المهارى رحالنا . . . ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا . . . وسالت بأعناق المطى الأباطح

تناول هذه الأبيات كثيرون من بينهم فى التراث العربى القديم ابن جنى فى الخصائص ، وعبد القاهر فى أسرار البلاغة ، ومن بينهم فى النقد العربى الحديث أستاذنا عباس العقاد فى كتابه " مراجعات فى الآداب والفنون " . والغريب أن الموقف القديم ، هو هو الموقف الحديث . كل الفرق فى استعمال المصطلحات . لقد أخذ عبد القاهر وابن جنى يقولان : هذا الشعر ينطوى على معنى بزيه به ، وأخذوا بشرحان الدلالات الضمنية فى بعض العبارات ، ودارا حول أحاديث العشاق وحاجاتهم . ثم جاء المحدثون ، فقالوا ان لدينا شيئا هو

باسترفاد المعارف النقدية الأخرى التي من شأنها بعث حيوية فى التفسير الأدبى لما تقدمه النصوص الشعرية من ابداعات لأنظمة نحوية فعالة وهو ما درجنا على تسميته " بالسياق " .

يقول ناصف : " اننا نقول سال الماء وسال الدمع وحينئذ يقول ريتشاردز ان الدموع تعطى للسيل ، وسوف يصبح عنصر الدمع جزءا من معنى السيل ، ولو فى بعض الأحيان يقول ريتشاردز : " ان الدلالات يتسرب بعضها فى بعض " وحينما نواجه سالت بأعناق المطى الأباطح ، هللنا أن نستعمل بعض العناصر السابقة المناسبة و " السياق " يحدد ما يصح أن نستعمله من هذه المعانى الكامنة . وهنا تنبثق أمامنا فكرة الأحران الغامضة . ان استعمال الكلمة أو الفكرة لا يتم بواسطة طرد كل الأفكار الأخرى ، وإنما يتم بواسطة إعادة تنظيمها وتركيبها من جديد . وحينما نراجع معنى " سالت بأعناق المطى الأباطح " نجد الاستعارة قد أضافت الى المواقف السابقة أو عدلت منها تعديلا يستحق الذكر ، ذلك ان عنصر الحزن استوعب - ضمنا - الناقة وكان من قبل مقصورا على الانسان .

وهكذا فان كل معنى جديد يعيد تشكيل المعانى السابقة (٨٠) .

ان الدكتور مصطفى ناصف هنا يغذى مفهوم " السياق " التقليدى تغذية نقدية معاصرة بما ذكره عن ريتشاردز صراحة حين نقل عن الأخير قوله : " ان الدلالات يتسرب بعضها فى بعض " وبما لم يذكره صراحة مأخوذا عن مفهوم كولردج فى " الخيال الثانوى " حين قال . . . " ان كل معنى جديد يعيد تشكيل جميع المعانى السابقة " (٨١) . انه (أى ناصف) يشرى المفهوم البلاغى برحابة فى الإيحاءات نتيجة ما استرده من معارف تعمل على تنشيط المجال اللغوى النقدى عند متذوق البلاغة مصيبا بذلك هدفين :

أولهما : تبيان حقائق قديمة فى ضوء أفكار جديدة .
وثانيهما : الارهاص بوجود نوع ما من الوحدة يمكن ادراكها فى
ثنايا الارتباطات الجديدة التى تكمن فى لغة النص ، وذلك " لان العمل
الأدبى مغامرة فى داخل تنظيم الكلمات وتفاعلها من أجل أن يجعل
الموضوع المعبر عنه وطريقة التعبير نفسها شيئا واحدا " (٨٢) .
وهذا ينقلنا الى كتاب آخر للدكتور ناصف يستكمل فيه رأيه حول
أنواع النشاط اللغوى الواجب دراستها جمالها خلال التدقيق
البلاغى بحثا عما يمكن أن يعد وحدة لقصيدة الشعر .

ثانيا - مصطفى ناصف ، دراسة الأدب العربى ، الهيئة
المصرية العامة ط ١ ، ١٩٦٦ .

يقول مصطفى ناصف : " النشاط اللغوى عبارة تعنى أن العمل الأدبى
خلاق لمعناه ، انه ليس علاقة أو صورة محسنة ، ولكنه يذيب العناصر
جميعها ، ويعطيها شكلا أو قواما جديدا " (٨٣) .
.... ويقول أيضا " النشاط اللغوى اذن ملتحق بمناطق من
التجارب أو المعانى لم تلتق من قبسلى بواسطة الاحساس أو
الحدس " (٨٤) . ثم ان " مهذا النشاط اللغوى يعنى أننا دائما بصدد طرق
مختلفة لاثراء المعنى " (٨٥) فالنشاط اللغوى - وهو الهدف الأمل لدى
متذوق البلاغة العليم بمدى تفاعل الكلمات خلال السياق الفنى - عامل فنى
يفرض نفسه على منهج مصطفى ناصف ، الذى يرى فيه طريقا الى اثراء
المعنى بشتى الابعاءات (بفعل اذابة الحدس لعناصر التجربة المتناقضة) ،
الا أن ذلك الاثراء للمعنى لن يتم الا بتوافر عنصر ، كثيرا ما ألح عليه
ناصف (تلميذ الخولى والجرجاني) ألا وهو " فاعلية النظام النحوى "

تلك الفاعلية التي تؤدي دورا أصيلا في " خلق المعنى المتعدد " ذلك أن " هذه الفاعلية النحوية جزء أساسي من حيوية اللغة وقدرتها على أداء كثير من وظائفها . وقد بذل المتقدمون ما وسعهم من أجل توضيح هذه الملاحظة . فنظام الكلمات ونوع الترابط والانفصال بين العبارات ، والتفاوت الملحوظ بين صيغ الكلمات في العبارة كل أولئك كان مجالا واسعا لكشف امكانيات غير قليلة " (٨٦) .

وتلك الفاعلية للنظام النحوي تضع عبئا على كاهل المثوق البلاغي إذ تقتضيه توافر خبرة لغوية جمالية حتى يتفهم ما يحتويه الشعر ، وتتحدد تلك الخبرة الجمالية كما ذكرها ناصف في " البصر بشئون الشعر المعقدة مثل الرمز والاستعارة ، ومواضع الكلمات وتفاعلها وتمييز الكل من مجموع أجزائه ، ومايجرى في أثناء ذلك كله من معنى فوق المنطق " (٨٧) .

فاذا أمكن للمتصدي تدقيقا لجماليات اللغة في النص ، أن تعينه مقدرة خبرته الرزوية السابقة على تلمس " كل " أو " وحدة " من خلال أجزاء العمل الفني (في القصيدة) ، فإنه لابد محتاج الى هاد له ينشط من فعل التداخل العضوي نحويا بين العناصر المتباعدة تنشيطا ثريا لغويا . وهذا الهادي - في رأى ناصف - هو العلم بالأساطير العربية ، وهو ماقصده بقوله " معنى فوق المنطق " .

... " والعلم بالأساطير " يثرى " فهمنا للشعر ... فقد نشأ الشعر العربي كغيره من الشعر ، في أحضان الأساطير ، والأساطير جزء هام من أجزاء النشاط الروحي . . ومن الواضح أن كثيرا من الشعر العربي صعب الفهم لأن الأساطير التي تتعمقه بعيدة عن متناول أيدينا " (٨٨) .

ويضرب مصطفى ناصف مثلا لما يوحى به العلم بالأساطير في سبيل تلمس تفسير لبعض مقومات الوحدة من مثل ما في بيت الأعشى من وصف الخمر :

كأن شعاع قرن الشمس فيها . . . إذا ما فت عن فيها احتاما

الخمر تسقط من دنها كشعاع الشمس الوهاج . وقد أعجب الشعراء بهذه الصورة اعجابا متواترا . ولكن ما قرن الشمس ؟ يقال انه أول ما يبدو منها في الصباح . وهذا غير كاف ، اذ لابد لنا أن نلاحظ أن الشمس ذات شأن كبير في الأساطير القديمة ، وقد اعتبر اله الشمس منقذا يحرز النصر على الموت لا من أجل نفسه وحدها ، وإنما يفعل ذلك من أجل العالم أجمع ، ولذلك يمكن حياة العالم من النهوض والاشراق . اله الشمس في الأساطير البابلية يؤسس الاستقرار ، ويقضى على العزلة والانتها ، والاعتساف ويوجد مفهوم النظام والقانون .

مثل هذه التاملات القديمة لابد أن تؤخذ في الاعتبار حينما يتحدث الشاعر عن العلاقة بين الخمر والشمس . فهواث تعاطى الخمر وملاساتها الفطسية تغرى الباحث بأن يلتمس في الشمس " معنى " أساسيا يلقى ضوءا على الشعر الذي نواجهه . وشارب الخمر اذن ، يريد أن يحقق أصلا أو أفكارا أو رؤى لا يستطيع أن يتناولها بغير هذا الطريق . أى أن الخمر في نظر شاربيها تعتبر وسيلة الى ضرب من المعرفة التلقائية الغامضة حقائق صعبة ، حقائق الحياة والوجود (٨٩) .

في هذا التحليل لمصادر الثراء التي توحى بها الاستعارة في (قرن الشمس) نرى أن ناصف محلل بلاغى متجدد ، حين يقرر أنه لابد من مراجعة ما جاء عن اضافة الثرن للشمس في الأساطير القديمة ، وكيف أن الملابس النفسية أو الرؤية النفسية (التي داوم الخولى على التنبيه اليها) لشارب الخمر ، لابد أن تكشف عن ثراء المعانى المتعلقة بما تجلبه تلك الخمر لصاحبها من سوابح خيالية تساعده في جلاء الغوامض التي تكتنف الحياة والوجود من حوله .

والدكتور مصطفى ناصف يعقد في كتابه المذكور هذا فصلا تحت عنوان " البحث عن وحدة الشعر " مجددا فيه النظرة الأدبية الفاحصة لما تعرف عليه من موضوعات الشعر العربى الجاهلى ، جاعلا مدخله التجديدى - لرؤية ما

وراء تلك الموضوعات من ثراء إبحائي - التفسير الأسطوري الذي تحدثنا عنه الآن .

ولكن هذا لن يكون متاحا للقارىء منذ الوهلة الأولى التى يواجه فيها النص ، بل عليه تحقيق المعاشة المستمرة للنص مرات ومرات (وفق توجيه الخولى فى بدء بحثنا هذا لتذوق البلاغة) " فالقصيدة الجيدة قصيدة ثرية فى دلالاتها ، بحيث تبدو فى القراءة الخامسة أو السادسة ، أوفى منها فى القراءة الأولى والثانية " (٩٠) .

وهذا المنهج فى تعدد القراءات الفاحصة - الكاشفة لكوامن النشاط اللغوى فى النص والتى لم يتمكن من رصدها من قبل - أقول ان هذا المنهج ينتهى بنا الى نفس ما نادى به النقد الأوروبى من أن " الاحساس بالعمل الأدبى يتغير دائما ، وأن فهمه من أجل ذلك ينمو نموا مستمرا ما دامت خبرتنا الاستطابقية قد مكنتنا من استشعار جانب العصرية الفكرية لدى الشاعر القديم ، وبذلك يمكن أن يقال اننا نحول الشعر الى شيء لا زمنى " (٩١) .

ولقد بسط ناصف منهجه هذا تطبيقا حول ثراء الدلالات بتعدد القراءات فى كتابه الثالث :

ثالثا - مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، دار الأندلس ، بيروت .

يقول فى مقدمته :

..... " القراءة هى فن كسر الحواجز التى تفصل بيننا وبين قصيدة من القصائد ، والقصيدة هالم مكثف بنفسه يحتاج الى أن يطرق باهه طرقا متعددة قارىء قوى رفيق معا حتى يؤذن له بالدخول ، ولكننا - مع الأسف - لاتعيد الطرق ولانكرر محاولة الاستثناس والاستثنان ، ولانثق

فى أن عالم القصيدة مغلق وعسر . وبعبارة أخرى لانجهد فى سبيل كسر
الحواجز الفاصلة . واقامة جسور أخرى عامرة بالألف والاتصال
(٩٢) .

هذا الكلام السابق فى صميمه ، منهج ملخص للدكتور مصطفى ناصف
تلصح فيه بوضوح دوغما ليس - غالبا - ملامح أمين الخولى هاديا متذوقا
بلاغيا مجددا وذلك فى قول الدكتور ناصف : -

أ - يطرق بابه طرقات متعددة قارىء قوى رفيق (هذا هو عنصر قتل
القديم فهما عند الخولى) .

ب - تكرار محاولة الاستثناس (التعاطف والرؤية النفسية أو المعاشية
عند الخولى) .

ج - اقامة جسور أخرى عامرة بالألف والاتصال (المعرفة والاتصال
بالثقافات الأخرى وهو أثر لعبد القاهر والخولى) .

هذا فيما كان أمين الخولى ، مع المتذوق البلاغى عبد القاهر هاديين
استاذنا مصطفى ناصف .

أما كون : -

أ - القصيدة عالم مكتف بنفسه .

ب - وعالم القصيدة مغلق وعسر .

فان العنصر (أ) هو ما أدار حوله ناصف الكلام فى النشاط اللغوى
وفاعلية النظام النحوى .

وكذلك العنصر (ب) وهو ما حاوله ناصف من الاشارة الى تداخل
الدلالات ومعرفة عالم الأساطير العربية فى سبيل تصور مفهوم وحدة ما
للمشعر القديم .

والواقع أن ما أخذه ناصف عن الخولى وعبد القاهر ممثلا فى (أ، ب، ج)

الأولى وما اهتدى اليه بحسه التدقيقى البلاغى المتنامى فى (أ ، ب)

التاليين ، قد قرر هو نفسه مفتاح مزجهما - ليكونا فاعلين فى الاقتراب

التلوقى الجمالى اللغوى بلاغيا لآى نص - حين بسط ملامح هذا المفتاح السحرى بأنه . . . " الوجدان الفردى ولاشئ أسبق منه . والموجود لا وجود له بمعزل عنه . انه هو الذى يزيد الموجود وجودا . وهو وحده القادر على الرؤية والتأمل . هو الذى يكشف المعنى ويصنعه الوجدان الفردى هو طاقة الانبساط على الأشياء . فكل ماعدا الوجدان الفردى مظلم حتى يكشفه . وكلمة الوجدان أو الشعور تكاد تكون مرادفة لكلمة الخيال الخلاق " (٩٣)

ان الكلام عن عنصر الوجدان هنا - عند ناصف - يختلف عن حديث كل من الأستاذ محمد خلف الله أحمد وكذلك الأستاذ حامد عيد القادر بل أيضا الدكتور عز الدين اسماعيل ، لأن الدكتور مصطفى ناصف قد نقل عنصر الوجدان نقلة بعيدة المدى عن مفهومهم الذى يكاد أن يكون غارقا فى بحور تعريفات علم النفس أكثر منه استخداما تطبيقيا نقديا مستنيطا من كون القصيدة - على حد قول ناصف - " بنية لغوية " (٩٤) فهذا الوجدان الفردى (عند ناصف) :-

- أ - يزيد الموجود وجودا (الاضافة الجديدة واثراء المعنى) .
- ب - قادر على الرؤية والتأويل (معنى المعنى) .
- ج - طاقة الانبساط على الأشياء (النشاط اللغوى وتداخل الدلالات والنحو المبدع) .

د - الخيال الخلاق (مقدرة استخدام العناصر السابقة أ ، ب ، ج والتى تكاد أن تكون قريبة من مفهوم الخيال الثانوى عند كولردج) .
ويكفى مصطفى ناصف فضلا أنه يكاد أن يكون التلميذ الأمثل لأمين الخولى فى تناول الجرىء لأفكار أدبية بلاغية راسخة محلحلا لها باقتدار - هو فى أساسه - رؤية لغوية جمالية موحدة جعلته يحس " أن العصر الجاهلى إذا نظرت فى الشعر الموروث - أشبه بأوتار تهبث عما بينها من صلات لتكون نفما معقاربا منسجما " (٩٥) .

لقد أمسك ناصف بمعظم النغم اللغوى (تلوقيا بلاغيا) الذى تحدثه هذه الأوتار ليشكل منها نفعا جديدا متقاربا منسجما ، وذلك بتقسيمه الجديد لموضوعات الشعر الجاهلى تحت العنارين الآتية :

حكم المستقبل - البطل - الناقة الأم - الأرض الطامنة - نحو مبدأ عظيم - مشكلة المصير - الحاجة الى الخوف .

وكل ذلك الجهد الذى هو فى أساسه بحث حول ابداعات الروى اللغوية داخل التراكميب الفنية للشعر ، ليس الا مقدمة لمدخلتنا - اسلوبيا - الى تلميذ ثالث أدار ما أخذه عن الخولى دورة نقدية ذات طابع مفاير ألا وهو الدكتور شكرى عياد .

يقول شكرى عياد فى كتابه " الرؤيا المقيدة " عما يجب على متذوق البلاغة اليوم اتباعه : -

..... " فأى بأس على صاحب البلاغة اليوم أن يأخذ من قديم البلاغة العربية وجديد علم الأسلوب عند الغربيين ، مايسعفه على بناء بلاغة هذا العصر .. ؟ " (٩٦) .

هكذا يقرر شكرى عياد منهجه (كأستاذ بلاغة ونقد) حيال درس بلاغة العصر دراسة تتأثر أسلوب أستاذه الخولى الذى يفرض على المجدد بلاغيا ... " أن يعرض على القديم ما أمكنه الحرص مستخلصا للصحاح الأدبية حتى من أعمال البلاغيين المدرسين كالسكاكى والقزوينى " (٩٧) .

ولما كانت رسالته للدكتوراة التى أشرف عليها " الخولى " حولى " كتاب أرسطوطاليس فى الشعر وأثره فى البلاغة العربية " (٩٨) فان أهم ماكان يشغل بال شكرى عياد ، هو مدى ما أفاده بلاغيو العرب عن ذلك المؤلف فى فلسفة الفن القولى ، مركزا حديثه حول تصور هؤلاء البلاغيين العرب مفهوم وحدة القصيدة الشعر ، مشيرا الى موقف عبد القاهر من هذا - بتوجيه من أستاذه ومشرفه المجدد البلاغى أمين الخولى حين يقول : -

..... " ولو تأملت هذه الفكرة التى جعلها عبد القاهر أصلا فى

" أسرار البلاغة " لوجدتها قريبة من فكرة قدامة في هيولى الشعر وصورته ، بل لوجدتها هي بعينها فكرة ابن سينا في أن العمل الشعري شيء ، يكون في صورة المعانى لا في مادتها ، ولن تراها بعد ذلك بعيدة عن فكرة أرسطو في أن الشعر محاكاة لأفعال أو محاكاة لمعان أى صور ماتتشكل به الأفكار والمعانى " وينقل في حاشية نفس الصفحة ما قاله عبد القاهر في " دلائل الاعجاز " ليدلل - أى شكرى - على تأثر عبد القاهر بفكر أرسطو في فلسفة الفن القولى حين قال (أى عبد القاهر) : " " واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويفحص المسلك في توخى المعانى التى-عرفت ، أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ، ويشهد ارتباط ثان منها بأول ، وأن يحتاج في الجملة الى أن توضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الهائى ، بضع بيمينه ههنا ، فى حال ما بضع بيساره هناك ، نعم وفى حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين " (٩٩) .

فدخول أجزاء الكلام بعضها في بعض ، واشتداد ارتباطها ، ووضعها في النفس وضعا واحدا مع مراعاة عنصر الاتزان وأن تبنى هنا وهناك ، وكذلك وأنت تتعامل (فى حالة ما يبصر) التشكيل النهائى فيما قد انشأت من فن القول ، كل هذا كاف كدليل يجعلنا نحس أن عبد القاهر كان صاحب ريادة فى إشعارنا بأهمية النظم خلال دراستنا لما يعرف بالأسلوبية - أو على حد تعبير شكرى - البلاغة العصرية . وهو ما تميز به شكرى - تلميذا للخولى - عن سابقيه عز الدين اسماعيل ، ومصطفى ناصف ، وأن كان مصطفى ناصف - باحثا دوريا متناميا مجددا قد أشار الى شيء من ذلك خلال بحث له تحت عنوان " النحو والشعر " نشر بمجلة " فصول " (١٠٠) .

وشكرى يأخذ بيدنا - فى أنحاء متفرقة من بحوثه وكتبه - حول خطوات تذوق البناء الأسلوبى (وهو ما سماه بالبلاغة العصرية) للعمل

الشعري ، بقصد الحكم عليه نقديا ، جاعلا تعدد القراءة - الذى أشار به ناصف - بالاضافة الى طول الاستماع (لتحريك الخيال السمعى الالىوتى) ، انهما المبدأ الرئيس فى تفهم دقائق عمل المنشئ . قائلا :

..... : ان قارئ القصيدة العربية اليوم هو مستمعها بالأمس والمستمع هو واحد من جمهور مشارك ، يمكن أن يكمل بعضه بعضا . فعلى القارئ أن يستعيد موقف المستمع المشارك ، بل أن يكمل نقص المستمع الفرد ليصبح بنفسه جمهورا . أو بتمبير آخر ، عليه أن يصيح جوقة كاملة تؤدى المعزوفة المركبة . وليس هذا بالأمر الهين . لذلك كانت " قراءة " قصيدة واحدة انجازا حقيقيا . وغالبا ما تبقى القراءة " مشروع قراءة " . يتعلم القارئ كيف يعايشها كما يعايش المبدع مشروعات قصائده . وكما أن القصيدة تمتع من أهوار بعيدة ، مع كونها شديدة الارتباط بالتجارب المباشرة ، أو نابعة من موقف معين ، فان القارئ يحتاج أيضا الى أن يتصور وقائع القصيدة ، ودوافعها لكي يصل الى أعماقها " (١٠١) .

فاذا كان لزاما على القارئ أن يستعيد موقف المستمع المشارك ، فان تلك القراءة لابد أولا أن تتمدد ، ولاهد أن تكون جهرية حتى يتنبه ذلك القارئ المتفحص الى ما تحدثه أصوات الألفاظ المتداخلة من دلالات تحرك خياله السمعى كمنقاد متذوق ، وهذا من شأنه أن يسمح لرجلنا - المتذوق البلاغى - بالتمكن من طول معايشة النص الشعري (مرجعا اياه) كي يقترب من النبع أو النهايىع التى تمتع منها منشئ النص ابداعه القسولى (وهذا كله مزاج بين عنصرين من العناصر التى أشار بها منهج الخولى فى بدء حديثنا عن ملامح منهجه تحت أولا وثانيا) (١٠٢) حتى ان شكوى عياد ، يرى أن ذلك اللون من ألوان القراءة المبدعة من شأنه أن يكون الطريق الأمثل الى ما يسميه " النقد الخالق " ويعنى به - " أن الناقد بفضل تمرسه بالعجربة الابداعية ، يدخل فى قلب العمل ، ويشارك

المنشىء فى جميع خطواته بخبرة تضاهى خبرته أو تفوقها ، ومن ثم يمكنه أن يقارب الدقة فى فهم العمل على جميع مستوياته ، وتذوقه بحسب ما فى العمل نفسه من امكانيات التذوق والحكم عليه تبعا لذلك - (١٠٣) .

وغنى عن التوضيح - هنا فى تلك المقولة لشكرى عياد - أن مشاركة القارىء للمنشىء فى جميع خطوات ابداعه للنص المنقود ، لا تتوفر للقارىء ، الا بتكرار قمرسه بحسن القراءة وحسن الاستماع الى التجارب الابداعية الشعرية وذلك من شأنه أن يسمح للناقد بمداومة تنمية حسه العذوقى حيال الأساليب الفنية بصورة مستمرة ، وهو ما يفسره شكرى بأن على الناقد " أن يحتوى التجارب التى ترد عليه من الحسارح ، ويحيلها الى شيء من جنس ذاته " (١٠٤) .

ولن تتحول التجارب الفنية (التى هى هنا لفوية فى أساسها) الى أن تكون ابداعا فيه ذاتية الناقد ، الا بأن يدرب نفسه على قراءة العمل الأدبى قراءة ابداعية ، وهذه القراءة الابداعية " تتم بمشاركة ادراكية وجدانية فيها شيء من " الاندماج " للعمل الأدبى ، بحيث يمكن لتلك القراءة أن تحرك وجداننا مشعرة ايانا بالاعجاب أو السخسطة أو الحقنق أو الترقب أو الاشفاق " (١٠٥) .

ومثل هذا القارىء (المستجيب تذوقيا لجماليات اللغة) يعيش عملية الصنعة الخيالية للنص من أولها الى آخرها ، ويعمل نعاجه بقدر ادراكه لأسرار الأساليب اللغوية للنص الذى يقرأ ، اذ إنه يوجه قدراته الخيالية للتحرك مع النص باحثا عن بنائه (١٠٦) .

وهذا هو من صميم عمل الناقد الأسلوبى - كما يقول شكرى عياد . ذلك أن عليه أن يكون " قادرا على الاستجابة للقطعة الأدبية التى يدرسها متبينا الارتباط بين التعبير والشعور ، والا فانها ستظل بالنسبة له هروفا مبعثة . لهذا يصرح بعض علماء الأسلوب بأن الناقد الأسلوبى

لا يمكن أن يدرس عملا لا يعذوقه " (١٠٧) .

فهذه الاستجابة بين الناقد ، وبين القطعة الأدبية ، لن تعرف طريقها الى نفس الناقد الأسلوبى الا بأن يعذوقها تاركا للقصيدة أن تتعامل مع حسه اللغوى الذى لا بد أن يهديه الى معرفة " لماذا عنى الشاعر نفسه بوضع كلمة بعد كلمة ، وبيت بعد بيت ، وقافية بعد قافية ليقرأها أناس لا يعرفهم ، ان هذا الصنيع من الشاعر حيال الكلمات يستحق منا أن نتعامل معانيها وأن نضم هذه المعانى معنى بجانب معنى لتعرف المعنى الذى وراء المعنى ، المعنى الذى ظل ينحرف فى نفسه (أى الشاعر) حتى أقدم على هذه المغامرة " (١٠٨) .

فكأن هذا الناقد الأسلوبى لا يهد له من ذوق خبير ، أوتى صاحبه مقدرة على ادراك التوحد الكامن وراء الفاظ العمل الأدبى الذى هو فى حقيقته مغامرة لغوية .

تلك المغامرة اللغوية هى عماد بحث الناقد الأسلوبى ، ولذلك نرى شكرى يقول : " المدخل الأسلوبى لفهم أى قصيدة هو لفتها " (١٠٩) ، وهذا من شأنه أن يلفت نظرنا الى أن النقد فى أيامنا يقف أمام النص كتشكيل لغوى ، فكل كلمة فيه لها دورها ومن هنا فان الدكتور شكرى عياد يرى التجديد (علم الأسلوب) فى قتل القديم (علم البلاغة) فهما (كما أشار بذلك أستاذه الخولى) " فكل من علم البلاغة وعلم الأسلوب يفترض أن هناك طرقا متعددة للتعبير عن المعنى والهدف النهائى لعلم الأسلوب - كما يراه كثير من علماء الأسلوب - هو أن يقدم صورة شاملة لأنواع المفردات والتراكيب ، وما يختص به كل منها من دلالات ، وهذا نفسه ما يصنعه علم البلاغة " (١١٠) .

ولما كان الوجدان من البواعث التى أشار اليها الخولى كضرورة من ضرورات الاقتراب التذوقى اللغوى البلاغى فان مادة علم الأسلوب بما تقتضيه من تأثيرات وجدانية - تكمن وراء الظواهر اللغوية - كانت منفذا الى

التجديد رأى فيه الدكتور شكرى ملاذا له فى سبيل انتهاج الشكل الأسلوبى ميدانا لبحوثه المعاصرة فى النقد خاصة ، وأنه قد اختار هذا الشكل حيث رآه أوثق طريق يمكن به التعرف الى تلك التأثيرات الوجدانية لان اللبصل فى هذا النقد هو وجدان الدارس نفسه (١١١) فنظرية الأسلوب كلها تعتمد على فكرة " الاختيار " وفكرة " الانحراف " ، والاختيارات والانحرافات هى المفاتيح التى تمكننا من الولوج الى العالم الشعورى الكامن وراء القطعة الأدبية .

وغير خاف " أن الولوج الى العالم الشعورى الكامن " هو مشغلة علم النفس ، إذ أن علماء النفس المحدثين قد عنوا بالجانب الوجدانى من الاتسان أكثر مما عنوا بالجانب العقلى " (١١٢) .

وهكذا فان شكرى عياد يرى فى الناقد أمرين مجتمعين :

أ - أن يكون حارسا على التراث الأدبى للجماعة التى ينتمى إليها .
ب - أن يكون قادرا على اعادة تقديمه بحيث يكون مفهوما لأبناء العصر لا بمعنى الفهم العقلى فحسب بل بمعنى التجارب الوجدانى مع القيم التى يتضمنها أيضا ، بالاضافة الى - وهذا رسم أمين المحولى - أن يؤتى القدرة على رؤية المجدد الذى يعيد تشكيل القيم الفنية بحيث تعبر عن حياة المعاصرين وأفكارهم " (١١٣) .

ويتضح لنا بعد كل ماخضناه عن منهج الدكتور شكرى عياد المتأسى بأستاذه المحولى ، أن البلاغة القديمة قد قتلها شكلا معاصرا من خلال الأسلوبية أو البلاغة الحديثة وأنه كان حريصا على توظيف ما جاء به علم اللغة " بحكم العلاقات بين عناصرها : بين أصواتها من حيث هى بناء صوتى وبين مفرداتها وتراكيبها من حيث هى بناء معنوى " (١١٤) .

أقول توظيف هذه المعطيات من خلال عمليتى القراءة والاستماع اللذين يرى فيهما شكرى عياد طريقين هاديين للناقد الأسلوبى فى تحريك وجدانه متذوقا لغويا بلاغيا .

والحقيقة أن شكري عياد لم يترك الأمر عند هذه الأصول التجريدية التي حاولنا الإلمام بها في شكل ضميعة موحدة ، بل انه قد أفرد في نهاية كتابه " مدخل الى علم الأسلوب " قسما سماه " دراسة تطبيقية في قصائد مختارة من الشعر الوجداني الحديث " كى يوضح لنا كيف نقرأ النص الشعري قراءة ناقد أسلوبى من صفحة ٦٢ وحتى صفحة ١٤٣ (١١٥) .

وتقتضينا طبيعة هذا البحث بأن نقرر : -

ان الخولى فى دعوته الى معاودة معايشة أسلوب التناول الهلاشى بصورة أكثر التصاقا بالنفس كان يهدف الى وضع معالم زمن يحسنون القراءة النقدية فى ترو وعمق حتى يعرفوا كيف يحللون تركيب وبناء العصل الأدبى ، من حيث أنه صياغة للمعنى فى أصوات وصور تحرك الوجدان المتذوق حيا لجمالها السامى اللغوى .

ومع دوام معاودة معايشة هؤلاء النقاد (بمعرف عصرهم المتجددة) لآراء البلاغيين القدامى فى فنون القول ، فانهم سيضطرون الى تنمية مداركهم التذوقية مطورين لها بامدادها بمصادر زاد معاورة كعلم النفس وعلم فلسفة الجمال وبذلك يمكن ابتعاث الحيوية فى جثة البلاغة التقليدية اذا أمكن لتذوق البلاغة أن يهتدى بالنهج الآتى : -

أولا - النص الأدبى فى حقيقته بناء لغوى قد وضعه مبدع ما فى صورة فن من فنون القول يعبر به عن واقع موقف نفسى يريد أن يشاركه آخرون فيه تجربته .

ثانيا - لن تتوافر تلك المشاركة الا بادراك علاقات ألفاظ النص بعضها ببعض وتداخل تلك العلاقات بما يوحى بدلالات معينة وفق تركيب نحوى فى تصنيف مسار هذه العلاقات بفعل ابداع صاحب النص .

ثالثا - الخبرة المستعمرة برقع أصوات أحرف الألفاظ فى وضعها الفنى الجديد ، وان تلك الخبرة لتحتاج من المتذوق البلاغى بصرا كهيما بأسرار ما جاء بكتيب البلاغة القديمة ، وكذلك بالأبحاث النقدية

العاصرة حول صوت الكلمة في مختلف ابقاعاتها ليعرف مدى ما تحمله من
نيضات معينة تفعل فعلها في نفس المتلقى محدثة ما أراه المنشئ للنص
الأصلي .

رابعا - التنبية الى ما يفرضه واقع النص - لغويا ونفسيا - من
سياق عضوي يجعل ألفاظ النص في حالة حركة خلق مستمرة ، كلما
أعيدت قراءة هذا النص قراءة فيها ألف واتصال تسمع بهما المعاشة
المستمرة من خلال ترجيع النص ترجيعا متعاطفا .

خامسا - لابد للمتذوق البلاغي من توافر وجدان ذاتي يجعله قادرا
على التعامل البصير الذي يحيل اللغة في النص من بلاغة جامدة الى
حالة من الوهي التدويقي الجمالي لسبر مختلف أغوار تلك المغامرات
اللغوية التي يفرضها " فن القول " على الأدباء والشعراء في حالات
ابداعاتهم .

سادسا - الحرص على التزود بالمعرفة المستمرة خاصة فيما يختص
بعلم اللغة وحركته بين القدماء من رجال البلاغة المتذوقين ، والمحدثين
من رجال الأسلوبية خاصة ما سمي " بالأسلوبية التعبيرية " (١١٦) وذلك حتى
يمكن للناقد (وهو في حقيقته متذوق لغوي بلاغي) أن يحدد الاطار
الدلالي الواسع الذي يتحرك فيه مبدع النص .

والحمد لله أولا وأخيرا

سامي منير

مساء الخميس ١٩٨٩/٦/٢٩

المراجع والتعليقات :

(١) أمين الخولي ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، ص ٣٢٤ ، دار المعرفة ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦١ .

(٢) نفس السابق ، ص ٣١٤ ، ص ٣١٥ .

(٣) د . نصر حامد أبو زيد ، الاتجاه العقلي في التفسير ، ص ٩٩ ، دار التنوير بيروت ، ط ١ ، سنة ١٩٨٢ .

(٤) د . شكري عباد ، الرؤيا المقيدة ، ص ١٧٣ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٩٧٨ . ويخيل الي أن المقصود " بفن الحياة " هنا ، هو دراسة ما وراء مواقف الحياة بتأملها تأملا يتيح لرجل " الفن القولي " ان يلحظ داخل نفسه المعني أولا ، وهو تحقيق لقول عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الاعجاز " : -

..... " فاذا وجب لمعني أن يكون أولا في النفس ، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتاج أن تستأنف فكرا في ترتيب الالفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ، ولاحقة بها ، وان العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بموقع الالفاظ الدالة عليها في النطق " .

- أنظر - دلائل الاعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ص ٥٦ الخالجي سنة ١٩٨٤ .

(٥) أمين الخولي ، مناهج تجديد ، ص ٣٢٥ .

(٦) نفس السابق ، ص ٣٢٦ .

وان في حديث الشيخ امين الخولي عن الذوق ، لصدي لرأي المتذوق المقتن - عبد القاهر - للبلاغة حين يقول : : واعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه

فهولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون من محدثه نفسه بأن لما يرمي اليه من الحسن واللفظ أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعري منها أخرى ، وحتى اذا عجبته عجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبه .

- أنظر - دلائل الاعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ص ٢٩١ الخالجي ١٩٨٤ .

(٧) نفس السابق ، ص ٣٢٥ .

(٨) محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، ص ٢٤٩ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ط ٢ سنة ١٩٧٠ .

(٩) امين الخولي ، مناهج تجديد ، ص ٣١٦ .

وقد جاء " بكتاب الزمخشري " ، طبع دار الشروق ، ج ٣ ، ص ١٢٨ عن قوله تعالى : " (. . . بلسان عربي) أما أن يتعلق بالمنذرين ، فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان واما أن يتعلق بنزل ، فيكون المعنى " قوله باللسان العربي لتنذر به ، لأنه لو نزل باللسان الأهمجي لتجانفوا عنه أصلا ، وقالوا مانصنع به لا نفهمه (فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ، أن تنزله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك ، تنزيل له علي قلبك ، لأنك تفهمه وتفهمه قومك ، ولو كان أعجميا ، لكان نازلا علي سمعك دون قلبك ، لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ، ولا تعيها . وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات ، فاذا كلم بلغته التي لقتها أولا ونشأ عليها ، وتطبع بها ، لم يكن قلبه الا الي معاني الكلام يتلقاها بقلبه ، ولا يكاد يظن للألفاظ كيف جرت . وان كلم بغير تلك اللغة ، وان كان ماهرا بعرفتها ، كان

- نظرة أولا في ألفاظها ، ثم في معانيها .
 فهذا تقرير أنه نزل علي قلبه لتزوله بلسان عربي مبين .
- (١٠) د . شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ، ص ١٧٧ .
- وأنظر د . كامل سعيان ، أمين الخولي ، سلسلة أعلام العرب رقم ١٠٣ ص ٢٤٣ حيث يقول : ان أبا العلاء - فيما أرجح - قد منعه الزواج والنسل ، مانع جنسي غير الفلسفة والزهد ، ولهذا المانع أثره الخطير في نفسية الرجل . كما كان لآفته المادية أثرها . دارسو النفس الانسانية ، خلقاء أن يزيدونا فهما لأثر هذا المانع في نفس الرجل .
- (١١) أمين الخولي ، مناهج تجديد ، ص ٣٢٧ .
- (١٢) روستر يفورها ميلتون ، ترجمة محمد مصطفى بدوي ، الشعر والتأمل ، ص ٩٤ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ط القاهرة ، سنة ١٩٦١ .
- (١٣) ريتشاردز ، د . محمد مصطفى بدوي ، مبادئ النقد الأدبي ص ٣١ ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة سنة ١٩٦١ .
- (١٤) د . شكري محمد عياد ، مدخل الي علم الأسلوب ، ص ٥٩ ، دار العلوم ، الرياض ، ط ١ سنة ١٩٨٢ .
- (١٥) جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، بنية اللغة الشعرية من ص ٢٨ الي ص ٣٢ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، سنة ١٩٨٦ .
- (١٦) ديتشيس ، مناهج النقد الأدبي ، ص ٢٠٥ ، ص ٥٠٥ .
- (١٧) بري الباحث أن بالامكان تسمية (تمثل عنصر الوجدان) بالتواصل النفسي بين مبدع النص ومبدع نقد النص .
- (١٨) أمين الخولي ، فن القول ، ص ١٧٨ .

(١٩) يقول الخولي : -

. . . . " أن يكون درس الأدب وتاريخه علي منهج تصححه الخبرة بالحياة والنفس والجماعة ، ويمثل التقدم الانساني ، والرقى العقلي . وهذا الكتاب محاولة لتصحيح منهج درسنا للبلاغة ، التي هي قوام الحياة الأدبية الصانعة والناقدة " .

- أنظر أمين الخولي ، مقدمة " فن القول " ، ص ٥ .

(٢٠) صدرت الطبعة الأولى من (الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده) عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه سنة ١٩٧٠ طبعة ثانية ، والتي أضيف إليها باب سادس تحت عنوان " مكان الاتجاه النفسي في دراسة الأدب ونقده " .

(٢١) ذلك أن المرة الأولى التي ظهر فيها هذا الكتاب (مع أبي العلاء) لطف حسين في عام ١٩٣٩ ، وهذا التاريخ هو بعد الزمن الذي نادي فيه أمين الخولي بدعوته التجديدية للتناول البلاغي سنة ١٩٣٤ وفق أصول الدراسات النفسية والجمالية . وقد عقب الخولي سنة ١٩٤٠ علي كلام طه حسين في كتابه (مع أبي العلاء) باستخدام المنهج النفسي في تناول بعض نتاج أبي العلاء الشعري وذلك في كتاب (رأي في أبي العلاء) طبع جماعة الكتاب سنة ١٩٤٥ .

(٢٢) محمد خلف الله أحمد ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، ص ٢٠٥ ط ٢ سنة ١٩٧٠ ، معهد البحوث والدراسات العربية .

(٢٣) ان طه حسين ليقرر بصريح التعبير ، اعتماد الأساس النفسي في الكتابة النقدية الحق اذ يقول : . . . " فالصفحة في النقد الخليلق بهذا الاسم مجتمع من الصور لهذه النفسيات الثلاث : نفسية المنشيء المؤثر ونفسية القاريء المتأثر ونفسية الناقد الذي يقضي

بينهما بالعدل ويزن أمرهما بالقسطاس " .

- انظر د . يوسف نور عوض ، الرؤية الحضارية والنقدية في أدب طه

حسين ، ص ١٦٤ ، دار القلم ، بيروت سنة ١٩٨٥ .

(٢٤) الخولى ، فن القول . ص ٧٠٦٠٥ .

(٢٥) محمد خلف الله احمد ، من الوجهة النفسية ، ط٢ ،

ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢٦) محمد خلف الله احمد ، من الوجهة النفسية ، ص ١٧١ .

(٢٧) محمد خلف الله احمد ، من الوجهة النفسية ، ص ١٧٤ .

(٢٨) محمد خلف الله احمد ، من الوجهة النفسية ، ص ١٧٥ .

(٢٩) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، محمود محمد شاكر ،

ص ٢٩١ ، المحامى سنة ١٩٨٤ والنصوص التى يحيلك فيها عبد

القاهر الى أثر فعل " فن القول " فى نفسك الأدبية - خاصة فى

حديثه عن التمثيل - كثيرة منها على سبيل المثال فى " أسرار

الهلافة " .

..... " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل اذا جاء فى

أعقاب المعانى ، أو برزت هى باختصار فى معرضه ، ونقلت عن

صورها الأصلية ، الى صورته ، كساها أبهة ، ورفع من أقدارها ،

وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ودعا القلوب اليها واستثار

لها من أقاصى الأفئدة صباية وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطىها

محبة وشغفا ... فان كان مدحا كان أبهى وأفخم وأهز للعطف

.... وان كان فخما كان مسه أوجع ... وقعه أشد .. وأن كان

حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وان كان افتخارا كان

شأوه أبعد وشرفه أجد ... وان كان الاعتذار كان الى القبول

أقرب . وللقلوب أجلب وان كان وعظا كان أشفى للصدر ، وأبلغ

فى التنبيه والزجر .

وهذا الحكم اذا استقرت فنون القول وضروبه وتبعت أهبابه وشعوبه
.....".

ومن أمثلة ما قاله عبد القاهر أيضا عن تعويد نفسك استمراء "
النظم " تدريجيا بكتابه الآخر " دلائل الاعجاز " قوله :-
... " واذا لم يكن الى الشك سبيل أن ذلك كان بالنظم ، فاجعله
العبرة فى الكلام كله ، وروض نفسك على تفهم ذلك وتبعه ،
واجعل فيها أنك تزاو من أمر عظيم لا يقادر قدره ، وتدخل
فى بحر عميق لا يدرك قعره " .

(٣٠) يقول أمين الخولى " وعبد القاهر بليغ أديب فى كتابه الآخر "
أسرار البلاغة " لا يتحدث فى قضية الاعجاز بكثير ولا قليل
كما يبدو أسلوبه فيه خاليا من الأسلوب المنطقى الاستدلالى ، ميالا
الى طول النفس وسطه العبارة ، والاعتماد على الحاسة الفنية
، وتحكيم الذوق الأدبى " .

- انظر " مناهج تجديد ، أمين الخولى ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ .
(٣١) حامد عبد القادر ، دراسات فى علم النفس الأدبى ، لجنة البيان
العربى ، المطبعة النموذجية بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٤٩ ، ص ١٧ ،
ص ١٨ .

(٣٢) د . مصطفى سويف . الأسس النفسية للإبداع الفنى فى
الشعر خاصة ط ٢ سنة ١٩٥٩ ص ١٥٨ دار المعارف القاهرة
ولقد قرر الدكتور مصطفى سويف نفسه فى مقدمته لهذا الكتاب فى
طبعته الثانية انه " ينبغي لنا أن نذكر بشعور الامتنان العميق
ما لقيته الطبعة الأولى من ترحيب وتشجيع لدى " مدرسة الأمان
" خاصة وهى المدرسة الملتفة حول الأستاذ أمين الخولى ،
الأستاذ الذى كان (فيما نعلم) أول من دعا فى مصر الى
قيام الدراسة النفسية للأدب " ... ص و

- (٣٣) حامد عبد القادر ، دراسات فى علم النفس الأدبى ، ص ١٤٧ .
 (٣٤) حامد عبد القادر ، دراسات فى علم النفس الأدبى ، ص ١٤٧ .
 (٣٥) حامد عبد القادر ، دراسات فى علم النفس الأدبى ، من ص ٣٢
 وحتى ص ١٣٥ .

ويسوغ لنا فى هذا المقام أن نذكر كيف استفاض الدكتور مصطفى
 سويف فى استخدام منهج علم النفس التكاملى ، مستنيراً بجهد
 سابقه أستاذنا محمد خلف الله احمد والأستاذ حامد عبد القادر فى
 وضع أسس مقاييسه النفسية فى سير أغوار عملية الابداع النفسى
 للشعر خاصة مما تجده ماثلاً بوضوح فى الفصل الثالث ساعة حديثه
 عن عملية الابداع ، وكذلك فى الفصل الرابع حين وضع تخطيطاً
 عاماً لتفسير عملية الابداع على أسس دينامية .

- أنظر: مصطفى سويف ، الأسس النفسية للابداع الفنى ، ط ٢ ، ص
 ١٨٢ وما بعدها و ص ٢٧٠ وما بعدها ، دار المعارف ، القاهرة ،
 سنة ١٩٥٩ .

- (٣٦) د. عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية فى النقد العربى ، ص
 ٣٣٢ ، ص ٣٣٣ ، ط ١ ، سنة ١٩٥٥ ، دار الفكر العربى ،
 القاهرة .

- (٣٧) د. عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية فى النقد العربى ،
 ص ٣٣٣ ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

- (٣٨) دلائل الاعجاز ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ .

- (٣٩) انظر هذا البحث ص ، ، وانظر أيضاً :

- د. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص ١٠٦ ، الهيئة
 العامة ، ط ١ ، سنة ١٩٨٤ .

- (٤٠) عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية ، ص ٣٤٨ .

- (٤١) د. عبد الواحد لؤلؤه ، الأرض اليباب (الشاعر والقصيد) ص

- ٣١، ص ٣٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، سنة ١٩٨١، بيروت.
- (٤٢) د. تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص ١٤ حتى ص ٣٤، ط١، دار الحوار - سورية اللاذقية، سنة ١٩٨٣.
- (٤٣) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية، ص ٣٥٢.
- (٤٤) نفسه، ص ٣٦٢.
- (٤٥) نفسه، ص ٣٦٢.
- (٤٦) انظر هذا البحث ص
- (٤٧) انظر هذا البحث ص
- (٤٨) عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية، ص ٣٦٦، ص ٣٦٧.
- (٤٩) نفسه، ص ٣٦٧.
- (٥٠) شكرى عياد، الرؤيا المقيدة، ص ١٦٧.
- (٥١) أنظر هذا البحث، ص
- (٥٢) عز الدين اسماعيل، التفسير النفسى للأدب، ص ١٤، ط١، سنة ١٩٦٣، دار المعارف، القاهرة.
- ويعترف عز الدين اسماعيل فى نفس (الافتتاح) بأن " عبد القاهر الجرجانى " حاول أن يشرح الدلالات النفسية لأشكال التعبير، ولكنه فى الحقيقة لم يتجاوز الظواهر الثانوية، فلم تتجاوز محاولته هذه مرحلة تأكيد الدور الذى تلعبه النفس فى تشكيل العبارة (ص ١٤).
- (٥٣) نفسه، ص ١٦.
- (٥٤) نفسه، ص ٣٠.
- (٥٥) عز الدين اسماعيل، التفسير النفسى للأدب، ص ٣١، ط١، سنة ١٩٦٣، دار المعارف، القاهرة.

- (٥٦) نفسه ، ص ٤٥ . ص ٤٦ .
 (٥٧) نفسه ، ص ٧٠ . ص ٧١ .
 (٥٨) نفسه ، ص ٧٢ .
 (٥٩) نفسه ، ص ٧٢ .
 (٦٠) نفسه ، ص ٩٦ .
 (٦١) نفسه ، ص ٩٧ .
 (٦٢) نفسه ، ص ٩٩ .
 (٦٣) نفسه ، ص ١٠٠ . ص ١٠١ .
 (٦٤) نفسه ، ص ١١٢ .
 (٦٥) نفسه ، ص ٢٧٤ .
 (٦٦) د. مصطفى ناصف ، نظرية المعنى فى النقد العربى ، ص ١٩٦ ط ٢ ، دار الأندلس سنة ١٩٨٢ ، بيروت .
 (٦٧) نفسه ، ص ١٩٦ .
 (٦٨) نفسه ، ص ١٤ .
 (٦٩) نفسه ، ص ١٦ .
 (٧٠) نفسه ، ص ١٢ .
 (٧١) انظر هذا البحث ص
 (٧٢) مصطفى ناصف . نظرية المعنى ، ص ٤٨ .
 (٧٣) د. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص ٥٥ ، ط ١ ،
 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٤ .
 (٧٤) مجلة فصول ، المجلد الاول ، العدد الثالث ، من ص ٣٣ الى
 ص ٤٠ .
 (٧٥) السابق ، ص ٣٤ .
 (٧٦) السابق ص ٤٠ " فى داخل كل لغة يوجد أكثر من نحو ،
 وكذلك يكمن فى بنية العبارة نفسها احتمالات نحوية ،

والاحتمالات النحوية تفتح الباب امام أساليب متنوعة . وفكرة
الاساليب من هذه الناحية وثيقة الصلة بالنظام النحوى الذى يمكن
افتراضه ، ويمكن أن ندعى أن الباحثين المتقدمين فطنوا منذ وقت
بعيد الى أن النحو وثيق الصلة بكل تبصرة حقيقية بما تسميه
الخبرات الأسلوبية " ص ٣٥ .

(٧٧) مصطفى الجوزو ، نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية
والعصور الاسلامية)

(٧٨) مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الثالث ، ص ٣٦ .

(٧٩) مصطفى ناصف ، نظرية المعنى ، ص ٩٥ ، ص ٩٦ ، ص ٩٧ .

(٨٠) نفسه ، ص ٩٧ .

(٨١) د ، محمد مصطفى بدوى ، كولردج ، ط ١ ، سنة ١٩٦٠ ،
القاهرة .

(٨٢) مصطفى ناصف ، دراسة الأدب العربى ، ط ١ ، ص ١٩٢ ،
الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٦٦ .

(٨٣) نفسه ، ص ١٩٢ .

(٨٤) نفسه ، ص ١٩٢ .

(٨٥) نفسه ، ص ١٩٧ .

(٨٦) نفسه ، ص ٢١٤ .

(٨٧) نفسه ، ص ١٠١ .

(٨٨) نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٨٩) نفسه ، ص ٢٩٠ ، ص ٢٩١ .

(٩٠) نفسه ، ص ١٩٤ .

(٩١) نفسه ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ .

(٩٢) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط ٢ ، ص ٦ ،
دار الأندلس ، سنة ١٩٨١ ، بيروت .

- (٩٣) نفسه ، ص ١٩ .
 (٩٤) مصطفى ناصف ، دراسة الادب العربي ، ط ١ ، ص ١٩٠ ، الهيئة العامة ، سنة ١٩٦٦ .
 (٩٥) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط ٢ ، ص ٤٥ .
 (٩٦) شكرى عياد ، الرؤيا المقيدة ، ص ١٧٥ .
 (٩٧) نفسه ، ص ١٧٥ .
 (٩٨) شكرى عياد ، كتاب الشعر لأرسطوطاليس وأثره فى البلاغة العربية ، ط ١ ، الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٦٧ .
 (٩٩) نفسه ، ص ٢٤٩ .
 (١٠٠) فصول ، المجلد الأول ، العدد الثالث سنة ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

حيث يقول :-

..... " يمكن أن ندعى أن الباحثين المتقدمين فطنوا منذ وقت بعيد الى أن النحو وثيق الصلة بكل تبصرة حقيقية بما نسميه المهرات الاسلوبية ، وقد عاشت الخبرات الأسلوبية فى عقول الأدياء غامضة لا ينهالها الوضوح ولا يعترىها التحديد ، وفى أكثر كتب النقد الأدبى عبارات تدل على انطباعات مبهمه لا تفيد شيئا فى توضيح النشاط اللغوى ، حتى اذا تمت الدراسة النحوية أمكن التساؤل من خلالها عن موضوع الأساليب ، وما يزال هذا التساؤل محتاجا الى مزيد من النمو... " هذا وقد صدر لناصف كتاب والبحث مائل للطبع يحقق فيه ذلك واسمة اللغة بين البلاغة والأسلوبية سنة

١٩٨٩

- (١٠١) فصول ، المجلد السادس ، العدد الثانى سنة ١٩٨٦ ، ص ٦٢
 من بحث تحت عنوان : " جماليات القصيدة التقليدية بين التنظير النقدي والخبرة الشعرية " د. شكرى عياد .

- (١٠٢) انظر هذا البحث ، ص
- (١٠٣) شكرى عياد ، دائرة الابداع (مقدمة فى أصول النقد) ص ٦٥ ، ص ٦٦ ، ط ١ ، دار الياس العصرية سنة ١٩٨٧ .
- (١٠٤) نفسه ، ص ٩٩ .
- (١٠٥) نفسه ، ص ١٦٠ .
- (١٠٦) فصول (عدد خاص عن الأسلوبية) المجلد الخامس ، العدد الأول ، ص ١٠٣ ، سنة ١٩٨٤ بحث تحت عنوان " القارئ فى النص " نظرية التأثير والاتصال ، د. نبيلة ابراهيم
- (١٠٧) شكرى عياد ، مدخل الى علم الأسلوب ، ص ٣٩ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ١ ، سنة ١٩٨٢ .
- (١٠٨) نفسه ، ص ٦٨ .
- (١٠٩) نفسه ، ص ١٣٨ .
- (١١٠) نفسه ، ص ٣٤ شكرى عياد : " علم البلاغة علم لغوى قديم ، وعلم الأسلوب علم لغوى حديث - فالعلوم اللغوية القديمة تنظر الى اللغة على أنها شئ ثابت ، فى حين أن العلوم اللغوية الحديثة تسجل ما يطرأ عليها من تغير وتطور ... " ، ص ٤٤ .
- (١١١) نفسه ، ص ٤٥ .
- (١١٢) نفسه ، ص ٤٧ .
- (١١٣) شكرى عياد ، دائرة الابداع ، ص ١٥٣ .
- (١١٤) مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الأول ، سنة ١٩٨٠ ، ص ٥٨ بحث تحت عنوان " مفهوم الأسلوب بين التراث النقدى ومحاولات التجديد " د. شكرى عياد .
- (١١٥) شكرى عياد ، مدخل الى علم الاسلوب ، من ص ٦٢ الى ص ١٤٢ والقصائد هى :-
- ١- " خواطر الغروب " لابراهيم ناجى .

- ٢- " استقبال القمر " لابراهيم ناجى .
- ٣- " عاصفة روح " ابراهيم ناجى .
- ٤- " فى ظل وادى الموت " للشابى .
- ٥- " الصباح الجديد " للشابى .
- ٦- " من أغانى الرعاة " للشابى .

(١١٦) مجلة فصول . المجلد الخامس ، العدد الأول سنة ١٩٨٤ ، ص ٦٥ " وهى تهدف الى دراسة القيم التعبيرية الكامنة أو المثارة فى الكلام (وصاحبها هو شارل بالى) ، وهى لاتقف عند الصور والأنماط التقليدية المتعارف عليها ولكنها تمتد الى اللغة فى حقولها التعبيرية اللامتناهية ، وهى تقف على نحو خاص أمام اللغة المنطوقة ، لتلاحظ العلاقة التى يمكن قيامها بين المحتوى العاطفى والصيغة التى يصب فيها .

المحتوى

الصفحة	
	الإهداء
٥	مدخل رئيس
٩	ملامح الدراسة الجمالية البلاغية عند الخولي
	آثار الدراسة الجمالية : (الأستاذ محمد خلف الله أحمد)
١٦	أ- من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده (الأستاذ حامد عبد القادر)
٢١	ب- دراسات فى علم النفس الأدبى (د. عز الدين اسماعيل)
٢٤	ج- الأسس الجمالية فى النقد العربى
٢٩	د- التفسير النفسى للأدب (د. مصطفى ناصف)
٣٥	هـ - نظرية المعنى فى النقد العربى
٤٣	و- دراسة الأدب العربى
٤٦	ز- قراءة ثانية لشعرنا القديم (د. شكرى عياد)
٤٩	ح- فن الشعر لأرسطو وأثره فى البلاغة العربية
٥٠	ط- الأسلوبية (البلاغة المعاصرة)
٥٢	ى - عمل الناقد الأسلوبى
٥٥	ك- مدخل إلى أصول التذوق الجمالى المعاصر للبلاغة التقليدية
٥٧	المراجع والتعليقات